الحرب الباردة

الشيطان يحكم العالم

العالم بين المطرقة .. والسندان

KGB

CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY

UNITED STATES

عصام عبد الفتاح

كنوز
للنشر والتوزيع


الحرب
الباردة
الشيطان يحكم العالم!!

الحرب الباردة..
الشيطان يحكم العالم..

المؤلف:
عصام عبدالفتاح

الإشراف العام
ياسر رمضان

الناشـــــر



للنشر والتوزيع
37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795
kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى وتصميم الغلاف



التصحيح اللغوى
ضياء الدين رشدى

رقم الإيداع: 2008/1883
الترقيم الدولى: 3-47-5307-977



الشـــيطان..
يحكم العـــالم!

عصام عبدالفتاح

كنوز
للنشـر والتـوزيع

مقدمة

الحرب الباردة هو مصطلح يعنى حدوث توتر شديد فى العلاقات بين دولتين مما يؤدى إلى نشوء نوع من الحرب الإعلامية بينهما وذلك باستخدام كافة وسائل الإعلام . . وتبادل الاتهامات . . ومحاولة تدمير الجبهة الداخلية للبلاد عن طريق إيقاظ الشائعات وإيقاظ النزاعات الاجتماعية المندثرة . هذا بالإضافة إلى تغير قواعد التحدث الدبلوماسى والاقتصادى والتجارى بين الدولتين . . هذا فى تعريفها المطلق . . العام .

أما فى تعريفها الأشهر ، فهى لاشك تعنى الحرب الباردة التى كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سابقاً وقد انتهت هذه الحرب بانهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م . . وبدأ المعنى العام للمصطلح يضيق بشكل حصرى ليستقر عملياً على العلاقات الجديدة التى نشأت بين المنتصرين فى الحرب العالمية الثانية خلال الفترة بين نهاية هذه الحرب وانهيار الاتحاد السوفيتى . . وبذلك تصبح أكثر الحروب الباردة شهرة على الإطلاق .

أى أنه عملياً يمكننا القول أنه :

بدأ العالمِ يعيش عصراً جديداً بإلقاءِ القنبلتينِ النوويّتينِ على (هيروشيما) و(ناجازاكى) . . خاصّةً بعدَ أن اخترعَ (الاتّحادُ السوفيتىُّ) قنبلتَه الذريّةَ عامَ ١٩٤٩ . ولحقتْه (بريطانيا) عامَ ١٩٥٠ و(فرنسا) و(الصينُ) فى الستينات . . وقد أجرت صحيفة «دى تسايت» الألمانية حوارا مفتوحا مع " صموئيل هنتنجتون " صاحب الكتاب الشهير " صدام الحضارات" الذى صدر عام ١٩٩٦ وتمت ترجمته إلى ٣٢ لغة . .كشف فيه عن أبعاد نظريته التى حملت اسم الكتاب . . وعلاقة ذلك بحقبة الحرب الباردة . . ويرى الرجل أن أحداث ١١ سبتمبر هى نتاج

طبيعى لتلك المرحلة شديدة الخصوصية فى تاريخ البشرية . . الحوار جاء تحت عنوان «الحدود الدموية للإسلام» زعم فيه أن القرن الـ ٢١ هو قرن حرب المسلمين . . ومن أبرز ما قاله «صموئيل هنتنجتون» فى حواره :

لم تكن أحداث ١١ سبتمبر حربا بين دول كما فى القرن الـ (١٩) أو بين أيديولوجيات كما فى القرن الـ (٢٠) . . بل كان هجوما لمجموعة إسلامية منظمة ضد صورة الحضارة الغربية أمريكا وكان المنفذون للهجوم ينتمون للحضارة الإسلامية . . وأسامة بن لادن نفسه تحدث عن حرب الحضارات . . لقد كانت بالنسبة له حربا ضد المسيحيين واليهود . . وبالرغم من أن هذا الحادث كان محدودا . . لكنه لا يجب أن يوصف الحدث بأنه حرب بين الغرب والإسلام . . فالتصادم العالمى الحقيقى يحدث حينما تقف حكومات ومجتمعات إسلامية خلف بن لادن . . ففى حرب الخليج كان العرب يقفون مع أمريكا ضد العراق . . الآن حينما اندلعت الحرب العراقية الثانية وقف العالم الإسلامى كله ضد أمريكا وإسرائيل اللتين تمثلان الغرب . . وهذا يظهر صراع الحضارات بصورة كبيرة .

إن إمكانية حدوث صراع حقيقى موجودة . . ففى صراع الحضارات يمكن أن يحدث شيئان يتضحان فى الصراع بين الهند وباكستان . . والانتفاضة الثانية . . والمسلمون عالمياً مع الفلسطينيين . . بهذا يستمر الصراع . . وقائمة الصراعات الحضارية تزداد كثافة من المسلمين ضد الهندوس فى الهند وضد المسيحيين فى نيجيريا وضد اليهود فى الشرق الأوسط .

. . باختصار لقد كان النصف الأول من القرن العشرين هو عصر الحرب العالمية . . والنصف الثانى عصر الحرب الباردة . . أما فى القرن الـ (٢١) فقد بدأ عصر حرب المسلمين فى الشيشان وأذربيجان وأفغانستان ووسط آسيا وكشمير والفلبين والسودان بالطبع والشرق الأوسط . . فهذه كلها حروب يحارب فيها المسلمون غير المسلمين كما يتحاربون فيما بينهم . . وذلك لا يعنى أن الإسلام دين تعطش للدماء فى جوهره . . فهناك عدة عوامل مؤثرة ، أحدها الإحساس التاريخى لدى المسلمين خاصة العرب أنهم اخضعوا من قبل الغرب . . والآخر هو السخط على السياسة الغربية المادية خاصة المساندة الأمريكية ـ «لإسرائيل» . . والثالث هو التكدس الديموجرافى فى العالم الإسلامى فالشباب ما بين ١٥و٣٠ سنة يمثلون النسبة الأكبر وهؤلاء لا يجدون عملا

ويحاولون السفر لأوروبا ويتجهون للحرب والقاعدة . . وكل الصراعات الأخرى التى يحتشد فيها المسلمون ضد غير المسلمين من نيجيريا عبر السودان وحتى الفلبين . . وبرنارد لويس ، المفكر الغربى المتخصص فى الكتابة عن الأصوليين ، يرى أن الإسلام لديه مشكلة مع الغرب وتحدث أيضاً عن صدام الحضارات . . وبالطبع هناك مسلمون يؤمنون بكل هذه القيم الغربية ولكنهم أقلية وليس لديهم سوى تأثير ضعيف . . وأغلب الحكومات فى العالم الإسلامى ديكتاتورية .

وفى الماضى عرفنا كيف نتغلب على صراعاتنا الأيديولوجية والسياسية فالغرب انتصر على ألمانيا النازية وانهار الاتحاد السوفيتى وتقلصت قواه العسكرية فكيف يحارب المرء فى حرب الحضارات؟ وضد من؟ هذا يتوقف على السيناريو . . فالقاعدة تعد شيئا جديدا . . وبوش يتحدث عن حرب ضد الإرهاب وسياسيًا يعد هذا هدفا مفيدا لأن العالم كله ضد الإرهاب . . وتحليلياً هو يثير المشاكل لأن هناك حروبا مختلفة اثيرت تحت هذا الاسم . . فالروس والصينيون والهنود والإسرائيليون يسمون أعداءهم إرهابيين وهذا نوع من الصراع حول الأرض . . والقاعدة تحارب ضد الولايات المتحدة والحضارة الغربية تحت مسمى آخر وليست حربا حول الأرض . . وكل هذا نتاج مباشر لما أسفرت عنه أحداث حقبة الحرب الباردة .

انتهى كلام " صموئيل هنتنجتون " . . ونعود لنحاول أن نقرأ نحن بمعرفتنا فى سطور نظريته . . وعلاقتها بمرحلة الحرب الباردة .

●●

فصراع الحضارات تتلخص نظريته فى أن العالم يتكون من ٨ حضارات كبرى هى الغربية والأرثوذكسية روسيا والصينية والفلبين واليابانية والهندوسية والافريقية واللاتينو أمريكية والإسلامية . . وتعد الاخيرة العدو اللدود الأكثر خطرا على الحضارة الغربية حسب رأيه .

وهو يرى أن هذه الحضارات فى صراع أشبه بصراع البقاء حيث ان قيمها وأهدافها مختلفة . . ولابد للحضارة الغربية من مواجهة هذا الصدام المنتظر من خلال تشكيل وحدة وتكتل غربى فى مواجهة الحضارة الإسلامية التى هى محور الخطر لديه والاقتناع بنظريتى "صراع الحضارات " و" نهاية التاريخ " . . وإذكاء فكرة الصراع القادم بين الغرب وتحالف

مرجح بين الصين الكنفوشوسية وبعض الدول الإسلامية مع بدء العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين . . وما يرتبط به من أبعاد ثقافية وفكرية وحضارية . . والتصميم الأمريكى على التصدى لـ" الشمولية الإسلامية " المزعومة . . كل ذلك أثبتت أحداث التاريخ . . ويثبت التاريخ نفسه كل يوم أنه (تطور صورى) للواقع الذى فرض نفسه بقوة على خريطة العالم السياسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . . والتى دخل العالم بعدها فى أحد أنفاقه شديدة الإظلام . . وعلى باب كل من مدخلى النفق تقف الولايات المتحدة . . وما عرف سابقاً بالاتحاد السوفيتى . . واحدة من هنا . . وأخرى من هناك . . فعمليا كان قطبا الحرب هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . . وكان هدف كل منهما الحصول على مناطق نفوذ عسكرى وسياسى جديدة وتوسيعها كلما كان ذلك ممكنا . . يجمعهما هدفٌ واحد : وهو الإصرار على استبعاد المقاومة الوطنية المسلحة ضد الاحتلال من حسابات التسوية السياسية . . ونزع سلاح منظمات المقاومة كهدف قريب ملح . . ثم يأتى التفكير فى معالجة باقى قضايا العالم . . والطرفان . . وإن كفا عن استخدام السلاح . .إلا أنهما لم يتوقفا عن تطوير قدراتهما العسكرية والدخول فى سباق تسلح لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل . . وهذا السباق من أبرز سمات الحرب الباردة إضافة إلى سعى كل من الطرفين للاستئثار بمناطق نفوذ على حساب الآخر وإنهاكه عن طريق إشعال حروب محدودة لاستنزاف الخصم . . ولقد التزم الطرفان بالقواعد التى شكلتها هذه المرحلة ولم يتجاوزاها إلى حرب ساخنة حتى فى أشد الأزمات بينهما كما هو الحال فى أزمة صواريخ كوبا .

ويمكننا تعريف الحرب الباردة بأنها عكس الحرب الساخنة التى تُشعل فيها النيران ويتبادل فيها الأطراف القصف والضرب . . ويمكننا قياس الزمن الفعلى لتلك المرحلة التاريخية المهمة وحصرها فى الفترة ما بين عامى (١٩٤٥ و ١٩٩٠) وكان الاتحاد السوفيتى وحلفاؤه طرفاً من أطراف الحرب وكان هذا الطرف يسمى بالكتلة الشرقية أو المعسكر الشرقى . . ومن الجانب الآخر . . الولايات المتحدة وحلفاؤها وكانوا يعرفون بالمعسكر الغربى أو الكتلة الغربية .

تمثلت الحرب بالشعور المتبادل بين الطرفين بانعدام الثقة وتقديم سوء النية على حسنها . . وفى مرحلة من المراحل (أزمة الصواريخ الكوبية) . . تنامت الشكوك بين الطرفين بما أوحى

باندلاع حرب عالمية ثالثة . . وكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يتهمون الاتحاد السوفيتى بنشر الفكر الشيوعى فى العالم بينما كان الاتحاد السوفيتى يتهم الكتلة الغربية بنشر الإمبريالية ومنع الحركات الثورية .

إذن كانت الحرب الباردة فى جوهرها الأيديولوجى هى صراع بين الإمبريالية والشيوعية . . فما هو مفهوم كل منهما ؟

الإمبريالية هى:

سياسة توسيع السيطرة أو السلطة على الوجود الخارجى بما يعنى اكتساب او صيانة الامبراطوريات الأخرى . . وتكون هذه السيطرة بوجود مناطق داخل تلك الدول . . أو السيطرة عن طريق السياسية أو الاقتصاد . . ويطلق هذا التعبير على الدول التى تسيطر على دول تائهة . . أو دول كانت موجودة ضمن امبراطورية الدولة المسيطرة . . وقد بدأت الامبريالية الجديدة تاريخياً بعد عام ١٨٦٠ عندما قامت الدول الأوربية الكبيرة باستعمار الدول الأخرى . . وأُطلق هذا التعبير فى الأصل على انجلترا وفرنسا أثناء سيطرتهما على إفريقيا . . ويعتبر لينين أن وجود الإمبريالية مترابط مع الرأسمالية لأنها تستخدم الدول المستعمرة على أنها أسواق جديدة أو مصادر لمواد أولية .

أما الشيوعية فهى:

نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمى إلى السيطرة على المجتمع ومقدّراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوى ولا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التى تعود على المجتمع . . وتعتبر الشيوعية (الماركسية)تياراً تاريخياً من التيارات المعاصرة . . الأب الروحى للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس ومن أهم من توغل فى النظرية الشيوعية وأسهم فى الكتابات والتطبيق فيها فلاديمير لينين . . وفى الرؤية الماركسية فالشيوعية هى مرحلة حتمية فى تاريخ البشرية . . تأتى بعد مرحلة الاشتراكية التى تقوم على أنقاض المرحلة اللا قومية . . ويرى ماركس أن الصراع التنافسى

للبرجوازية يولد العهد الكوزموبوليتانى الذى يغلب عليه الطابع الاحتكارى . . وتحول الربح التنافسى للربح الاحتكارى سيؤدى إلى ثورات تفرض النظم الاشتراكية حيث يصبح لكل انسان عمله ولكل انسان حسب عمله . . حيث يتم القضاء على الملكية الخاصة . . وتأتى الشيوعية كتطور تاريخى للاشتراكية . . ومن ميزات العهد الشيوعى انه عهد أممى . . وتزول الدولة تلقائيا وتضمحل بحيث يتلاشى وجود الدولة . . بينما يرى أعداء الشيوعية أن التطور التاريخى يقود إلى مرحلة العولمة . . وقد رأى فوكوياما أن العولمة نهاية التاريخ . . وفى النظام العالمى الذى تنبأ به فوكوياما يقول أن استقصى ثمانين بالمائة من سكان الارض خارج سوق العمل . . وسيعيشون على الفتات . . ويرى الشيوعيون أن مرحلة العولمة هى ذاتها مرحلة الكوزموبوليتانية التى تحدث عنها ماركس فى بيانه الشيوعى . . لكن الشيوعيين يرون أن عهد العولمة الكوزموبوليتانى سينتهى إلى نظام اشتراكى تفرضه الثورات . . اما أعداء الشيوعية فيرون أن العولمة هى نهاية التاريخ . . ولن تتطور البشرية بعدها .

●●

وهكذا . . ومن خلال الاختلاف العقائدى الجوهرى بين الاتجاهين الإمبريالى . . والشيوعى نشأت . . ودارت أحداث وسنوات الحرب الباردة . . التى استمرت من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠ وفى الفترة المذكورة . . قامت عدّة صراعات مسلحة بسبب الحرب الباردة كحرب كوريا وفيتنام والغزو السوفيتى لأفغانستان . . وظلّت تلك الصراعات العسكرية محدودة لعدم تعرض الكتل الكبيرة أو شعوبها للأذى .

فى الصراع الاستراتيجى بين الكتلتين . . كان هناك صراع من نوع آخر تمثل فى الصراعات التقنية وسباق التسلح كما لم يدّخر الطرفان جهداً فى عملية التجسس واغتيال عملاء الطرف الند . وتجدر الإشارة إلى أن الصراعات المسلحة الجانبية كحرب فيتنام ومثيلاتها أرّقت منام العالم فى احتمال تطور تلك الصراعات إلى حرب عالمية نووية . كان من نتائج الحرب الباردة انهيار الاتحاد السوفيتى وميلاد النظام العالمى الجديد الذى نادى به الرئيس الأميركى السابق

جورج بوش الأب . . عقب نهاية حرب الخليج الأولى . . التى أسقطت شبه النظام الإقليمى العربى . . وقد سمح النظام العالمى الجديد للولايات المتحدة الأمريكية ـ القطب الذى كسب الحرب الباردة ـ بالانفراد بالسياسة العالمية وتطويعها وفقا لمصالحها ورغباتها وفرض رؤيتها على الدول والتدخل فى شئونها وصار العالم يتشكل وفقا للنمط الأمريكى من التعددية الحزبية إلى التجارة الحرة والحدود المفتوحة دون مراعاة لأى خصوصية دينية أو ثقافية .

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

■ ■ ■

تمهيد

انقسام العالم.. ونظرية صرا. الحضارات

إذا كانت شعوب وأمم العالم قد عانت من ويلات الهيمنة الناشئة عن صراع القوى المتنافرة فى أزمان الحروب المتعاقبة . . فإن انقسام العالم (ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية) إلى معسكرين عقائدين . . اقتصاديين . . عسكريين . . زاد من حدة الصراع فى الهيمنات . . وقلل من كل فرص الحوار المتكافئ . . وفشلت المنظمات الإقليمية (الإفريقية . . الإسلامية . . العربية . . واللاتينية) فى فترة الحرب الباردة فى الحد من طغيان السيطرة . . ومحاولات تطويع الإرادات . .كما فشلت حركة عدم الانحياز فى إيجاد صيغة (وقائية) تجنب الأعضاء خطر الوقوع فى دوائر (مراكز السيطرة) . . فاختفت بذلك إمكانيات اللقاء . . وفرص تبادل وجهات النظر .

لذلك . . فإنه فى فترات الثنائية القطبية عاش العالم مظاهر وحالات فرض الهيمنة . . والاستقطاب . . ولكنها تميزت بإمكانية الاختيار . . بينما هى فى فترة الأحادية القطبية . . فإن السمة المميزة قامت على هيمنة أحادية النظرة . . وهى دون شك . . أقسى . . وأصعب . . وأكثر شراسة .

فمثلاً . عاش العالم فى أزمنة الاستقطاب الثنائى التجاذب ما بين مدرستين أساسيتين . . ومدرسة أخرى اعتمدت المرجعية الدينية فى العديد من الدول . أن الرأسمالية ليست محض نظام اقتصادى . . فهذا النظام الاقتصادى يستدعى بالضرورة بنى اجتماعية . . وعلاقات ثقافية . . وفلسفات سياسية . . وتشريعات قانونية . . تتأسس فى إطارها جدلية

الصراع بين هيمنة الأقلية وتبعية أولئك الذين يدورون فى دائرة الهيمنة داخل المجتمع الواحد . . أو على مستوى علاقات الدول .

كما أن هذه الهيمنة تقع فى تناقض جذرى فيما يتعلق بموضوع المشاركة فى اتخاذ القرار . . وتحديداً فى المسألة الاقتصادية . . أو السياسية . . أو الثقافية . ففى الوقت الذى تتم فيه المناداة من قبل القوى المهيمنة (المعسكر الليبرالى) مثلاً بإشاعة قيم الديمقراطية والمشاركة فى الأقطار المختلفة داخلياً . . فإن القرار الدولى يتخذ لوناً ديكتاتورياً . . وقاسياً . . ولا علاقة له باحترام قواعد الحق . . والعدالة . . والقانون . . والأخلاق . . وهو ما ينفى قيام الديمقراطية الأفقية فى هذه المجتمعات . . وينزع إلى اعتماد الديمقراطية القائمة على سيطرة الحزب (سواء فى الأنظمة الرئاسية أو شبه الرئاسية . . أو فى الأنظمة البرلمانية) . . وتحكم الأقلية . . والنخب السياسية . . والمالية . . والتقنية . . والشركات متعددة الجنسيات .

ولعله يصير من الطبيعى كذلك . . أن هذا النظام (كأى نظام سياسى اقتصادى) يستدعى بنية سياسية تعكس . . فى أشكاله المتعددة . . هذه التبعية الاقتصادية . . والاجتماعية . . والثقافية . . ويستدعى أخيراً نموذجاً من الثقافة والحضارة يقولب فيه الناس والمجتمع بحسب مقتضيات الفكر السياسى المطلوب ترسيخه (الليبرالية) . ولعله يجب بنا الإشارة إلى أن الدولة الليبرالية تأسست دون أن تكون ديمقراطية . . فالدولة الليبرالية قامت تجسيداً لتطلعات الطبقة البرجوازية . . وتمت صياغة المجتمع الليبرالى على معطيات قواعد المنافسة الحرة دون اعتماد الفكر الديمقراطى الذى يؤسس لإمكانيات الاختيار الحر من قبل أعضاء المجتمع المراد تنظيمه (ظاهرة الاستقطاب الليبرالى) . . كما أن مساعى فرض النموذج الأمريكى تحديداً قامت على أسس تجاهل حقائق الثقافات . . والحضارات . . والتراكم القيمى لمجتمعات تم تشويه بناءاتها المعرفية بشكل مدمر .

لذلك . . فإن الحوار الثقافى . . أو الحضارى ما كان ليتم إلا وفق أسس يفرضها الطرف الأقوى . . ويحدد مساراته . . ويرسم أنساقه مستخدماً كافة أدوات السيطرة السياسية . . والاقتصادية . . والمالية .

ولعل دور الشركات متعددة الجنسية . . وهى ظاهرة رأسمالية . . فى تحديد مسارات التفاعل السياسى . . والاقتصادى . . والاجتماعى . . والأخلاقى . . والتأثير فى الذمم . . وفى البيئة المعرفية . . وفى التشريعات . . وفى أنظمة الحكم ـ صار حقائق اعترفت بها وقائع تاريخية . . وكشفت عنها دراسات علمية جادة (فى دول الغرب تحديداً) .

كما أن تأثير هذه الكتل الاقتصادية . . والمالية الضخمة فى حياتنا اليومية . . وفى سلوكنا الثقافى ـ لخير دليل على مرحلة فقدان الوعى التى يمكن أن يعيشها مجتمع ما . . وخاصة (الوطن العربى) . . الذى شهد تراجعاً بيناً فى برامج التنمية البشرية يدلل عليه معدلات المديونية . . والفساد الإدارى والمالى . . وسوء إدارة الاقتصاد . . وتدنى معدلات التعليم . . والبخل الشديد فى الإنفاق على البحث العلمى الابتكارى (ينفق الوطن العربى على البحث العلمى أقل من ٠,٠١ ٪ من إجمالى الدخل القومى) .

وما يقال عن الرأسمالية . . يصح أن يقال عن الماركسية . . ويصح أن يصدق على مدارس المناداة بالمرجعية الدينية (السلفية . . الجهادية) .

فالماركسية كذلك ليست فلسفة سياسية . . ونظرية اقتصادية فحسب . . ولكنها سعت إلى أن تكون نموذجاً متكاملاً نقيضاً (بديلاً) للنظرية الرأسمالية .

إن اختيار الدفاع عن الطبقة العاملة (البروليتاريا) . . والسعى إلى تأسيس مجتمع اشتراكى يهدف إلى إقامة مجتمع لاطبقى ، استناداً إلى تصفية بقية الطبقات الاجتماعية المستغلة . . وذلك من خلال ملكية وسائل الإنتاج فى المجتمع . . كان من أعلى الشعارات . . والممارسات للأنظمة الشمولية الشيوعية . . .

إن النظام الماركسى يستدعى (هو الآخر) بنى اجتماعية . . وأنماطا ثقافية . . ومفاهيم سياسية . . وجميع هذه المعطيات يؤدى القانون دوراً حاسماً فى ترجمتها فى شكل تشريعات تقولب فيها المفاهيم والتوجهات . . وتصل إلى حد اختيار شكل ومؤسسات الدولة وأداة الحكم عموماً (نموذج دساتير دول المنظومة الاشتراكية) .إن السعى المحموم الذى ميز فترة الحرب الباردة لفرض النموذج الماركسى بصيغته السوفيتية (سابقاً) على بلدان العالم الثالث . . والوطن العربى

تحديداً . . أو جد اضطراباً وفوضى فى الاختيارات . . وفى المواقف . . وفى أنماط الحياة . . وبما لا يتماشى وحقائق المجتمعات العربية فى جوانبها الاجتماعية . . والاقتصادية . . والثقافية . . .فلم ينشأ حوار ثقافى . . أو حضارى . . ما بين الأمة العربية . . والاتحاد السوفيتى (سابقاً) . . وانما سعت سياسة الدولة الشيوعية إلى فرض مصطلحاتها . . ومفاهيمها . . وثقافتها .

فمثلاً . . كان استعمال مصطلحات الحزب الحاكم . . وطبقة البروليتاريا . . وملكية أدوات الإنتاج . . واللجنة المركزية . . وغيرها . . يعكس تأثراً بمناخ فكرى سياسى . . وبرؤية فلسفية لايمتان إلى التاريخ . . ولا إلى الحضارة العربية بأى صلة . . وهو الأمر الذى يمكن أن يفسر لنا أن فشل الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى كان أسبق من فشلها فى دول كثيرة أخرى (ظاهرة التمفصل ما بين النظرية . . والواقع) .

أما غلاة المنادين ببناء الدولة المعاصرة على أسس دينية فى التفاعل . . وفى المؤسسات . . وفى الدساتير . . وفى التشريعات القانونية . . فانهم وقعوا فى إشكاليات الاستدعاء الأصم للتاريخ . . وإنكار حقائق التطور الإنسانى . .فنادوا بالإمامة . . أو بالخلافة . . أو بالشورى فى الدول الإسلامية . . والى نقاء الدولة اليهودية عند المتعصبين العبرانيين . . والى تأسيس الأحزاب المسيحية فى الدولة المسيحية . . ورفض الجميع (أنصار المرجعية الدينية) كل ما هو آت من الأخر تحت حجج وأسانيد مقاومة الهيمنة . إن رفض الهيمنة هنا كان يعنى (وبشكل غير معقد فى التحليل) الخضوع الى هيمنة تفسيرات رجال الدين (أى دين) ورفض الحوار مع الآخر . . بل اعتبار الآخر العدو الأول .

إن إشكالية الهروب من هيمنة . . والوقوع فى فخ هيمنة أخرى . . ربما تعد من أعقد ما يواجه محاولات التصدى للواقع المرفوض . . ومحاولة تغييره . .

■ ■ ■

1

تأسيس الـ C.I.A والـ K.G.B أول فصول الحرب الباردة بين القطبين

□□

الحرب الباردة

لن يستقيم لنا قراءة أوراق وأحداث سنوات الحرب الباردة دون أن نتوقف أولاً عند اللاعبين الأساسيين فى ميدان تلك الأحداث . . وهما جهازا المخابرات الأمريكية . . والسوفيتية . . اللذان كانا يمسكان بأيديهما كل خيوط اللعبة على مدار تلك الحقبة المهمة المسماة بـ" سنوات الحرب الباردة " . . ونتعرف على بدايات نشأة كلٍ من الجهازين . . وأقسام . . وطرق انتقاء . . وتدريب أفرادها فى تلك الحقبة . . وأهم العمليات التى قام بها كل جهاز خلال تلك الحقبة .

المخابرات الأمريكية (C.I.A)

لابد أن نتوقف عند المخابرات الأمريكية (C.I.A) التى تأسست رسمياً عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرةً . . وكانت هى اللاعب الأول . . والأهم على مسرح أحداث تلك السنوات . . فقد تأسست المخابرات المركزية الأمريكية عام ١٩٤٧ عندما أمر الرئيس الأمريكى هارى ترومان بإنشاء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A) وكانت فى البداية تعمل بالتعاون مع جهاز (F.B.I) وتم تجهيز مكان خاص لتدريب رجال المخابرات الأمريكية (C.I.A) فى مجموعة من الأبنية الضخمة فى مدينة (الانجلى) بولاية فرجينيا وتشتهر بين العملاء باسم (المزرعة) . . وكان أول ما يخضع له الملتحقون الجدد بهذه المدرسة هو اختبار (الكشف عن الكذب) لبيان مدى سلامة صدقهم وقدرتهم فى العمل كعملاء للمخابرات الأمريكية كما يقوم رجال المباحث بالتحرى عن كل عميل جديد وأفراد أسرته بأكملها لفترة طويلة وبكلٍ دقة متناهية قبل أن يلتحق رسمياً بالعمل لدى جهاز المخابرات ، وأكثر ما تهتم به دروس التعليم فى المدرسة الأمريكية هو :

١ ـ الحفاظ على سرية العمل .

٢ ـ طرق التخفى .

٣ ـ التنكر .

٤ ـ تسجيل المعلومات فى سرية تامة .

وركز الأمريكيون اهتمامهم منذ البداية فى مجال التجسس على الاتحاد السوفيتى . . وبدأت المخابرات الأمريكية عملها بتدريب الجواسيس المؤهلين للتجسس على روسيا على طريقة الحياة فى روسيا وعادات وتقاليد ومشاكل الروس حتى يتمكنوا بمهارة من التقاط المعلومات المكلفين بالحصول عليها .

التجسس بالمفهوم الأمريكى

يقوم مفهوم التجسس الأمريكى على جمع وتقييم وتحليل وإيضاح وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن أى دولة أجنبية أو عن أى مناطق عمليات عسكرية التى تكون لازمة لزوماً مباشراًللتخطيط من قبل أقسام الاستخبارات وأهمها قسما : الرقابة . . . والخدمة السرية .

كذلك من الأقسام الأخرى التى تضمنتها منظومة المخابرات الأمريكية ـ عند بداية تأسيسها ـ قسم المعلومات الجغرافية الذى يهتم بالمعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبحر والجو . . من أجل الخطط العسكرية . . ومنها تشعبت أقسام :

ـ الطبوغرافيا .

ـ الأرصاد الجوية .

ـ قسم الهيدروجرافى .

ـ قسم النقل .

الاستخبارات التكنولوجية

هى ذات أهمية حيوية خاصة بالأمن القومى منها . . الاستخبارات العلمية المتخصصة فى الأبحاث الذرية . . وقسم الالكترونيات . . والصواريخ الموجهة . . والمواصلات السلكية . . واللاسلكية والحرب البيولوجية والحرب الكيماوية .

الاستخبارات التكتيكية

هى جمع المعلومات على المستوى التكتيكى حول قوات العدو فى منطقة محددة . . أو حول المنطقة ذاتها . . وتحليل هذه المعلومات وهى استخبارات (قتالية) أو (المعركة) . . أى جمع المعلومات المتعلقة بشئون عسكرية أو أمنية وتنسيقها . . وتحليلها . . وتوزيعها على المستوى الاستراتيجى وعلى مستوى الدولة والهدف منها هو معرفة قدرات الدولة الأخرى . . والتكهن بنواياها للمساعدة فى تخطيط المسائل المتعلق باستراتيجية الدولة صاحبة النشاط وتعنى أيضاً جمع المعلومات عن الاتجاهات الاقتصادية العسكرية والسياسات المتبعة (تعنى التجسس الاستراتيجى) .

المخابرات الوقائية

هى المعرفة والتنظيم والتحليل للنشاط الذى يوجه للقضاء على نشاط الجاسوسية المعادية . . والمهمة الأساسية لمقاومة الجاسوسية هى التعرف عل نشاط عملاء العدو السريين واستغلاله والسيطرة عليه .

الاستخبارات المضادة

تعنى المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذى تستخدمه استخبارات الدول لشل نشاط الاستخبارات المعادية . . ووجه نشاط فى مكافحة الاستخبارات ضد جهود الاستخبارات الأجنبية المعادية المتمثلة بالتجسس . . والتجسس المضاد هو عبارة عن مجموعة من الإجراءات البوليسية المضادة التى تتخذها إحدى الدول للمحافظة على المعلومات السرية التى تمتلكها . . ومنع عملاء العدو من الوصول إليها . . والحفاظ على سرية عملياتها التجسسية واكتشاف نوايا العدو . . وعمليات العدو .

التجسس السياسى

كانت البعثات الدبلوماسية لا تزال الوسيلة الرئيسية بجمع المعلومات السياسية عن مصادرها العلنية . . وتدعمها فى ذلك أجهزة الاستخبارات المتخصصة بواسطة عملاء سريين يقومون بالتجسس لحسابها .

التجسس الاقتصادى

تهتم أجهزة التجسس بجمع المعلومات المتعلقة النشاط التجارى والمالى للدول الأخرى .

بأقل خسائر ممكنة أمريكا تحكم العالم..

هذا فيما مضى من حيث تأسيس المخابرات المركزية الأمريكية مع نهايات الحرب العالمية الثانية . . ذكرناه حتى يمكننا الربط بين مسارات أحداث الحرب الباردة . . لكن لابد أيضاً حتى نستطيع قراءة ما بين قوسى هذه الحقبة أن نعرف استراتيجية الـ (C.I.A) التى تحكم فيها بدرجة كبيرة حزب «المحافظون الجدد» . . وأحد أبرز رموزهم شخص يدعى « جاك ديار كروش » وهو يمينى متطرف من تلامذة ديك تشينى المستشار الحالى للرئيس . . والذى يعمل حالياً مستشاراً للأمن القومى للبيت الأبيض . . وعمل سفيراً سابقاً فى رومانيا . . وسبق له أن تقلد ثلاثة مناصب فى إدارة بوش . . وهو شخص مواقفه مثيرة للجدل . . ومن بينها الدعوة للعمل العسكرى ضد كوبا وكوريا الشمالية وإيران . . بالإضافة لكونه خبيراً فى قضايا الحد من الأسلحة . . أو بتعبير أدق . . كيف يمكن للولايات المتحدة أن تتجنب أو تقوض جهوداً دولية للترويج للحد من الأسلحة . . لفترة طويلة . . لتحكم قبضتها على العالم بأقل جهد ونفقات عسكرية ممكنة . .

عمل «كروش» أولا تحت إمرة تشينى فى وزارة الدفاع الأمريكية أثناء إدارة الرئيس بوش الأب . . وشغل منصب نائب مساعد للأمن الدولى . . وساهم فى توجيه السياسة الدفاعية . . كما دعا واشنطن لفرض الهيمنة العسكرية داخل وحول منطقة أوراسيا .

ثم عاد إلى وزارة الدفاع الأمريكية كسكرتير مساعد للأمن الدولى . . بعد انتخاب الرئيس جورج بوش الابن فى ٢٠٠١م . فى تلك الفترة . . ركز على انسحاب الإدارة الحالية من معاهدة منع انتشار الصواريخ الباليستية الموقعة فى ١٩٧٢م . كما أن خططه استهدفت تطوير الأنواع الجديدة من الأسلحة النووية . . وتحضير استراتيجية الأمن القومى التى سميت بـ «القرن الأمريكى الجديد » فى ٢٠٠٢م .

هذا المستشار الأمنى ، بالإضافة لسيده المباشر ديك تشينى وفريق المحافظين الجدد ، يقفان الآن بكل غطرسة خلف استراتيجية بوش الجديدة القائمة بالأساس على الاستعداد للحرب مع

إيران والحلف المقاوم فى المنطقة . . على أن يسبق ذلك لفت للأنظار وبقوة داخل المنطقة إلى خطر وهمى اسمه (الخطر الشيعى) مع نسيان الخطر الأصيل والمستمر (الخطر الإسرائيلى) ولفت الأنظار أيضاً داخل الكونجرس إلى مسألة زيادة عدد القوات فى العراق لينشغل الكونجرس (الديمقراطى) بها وبالنقاش حولها على أن تكون الآلة الحربية الإسرائيلية والأمريكية تعد للعدوان فى مكان آخر وبآليات أخرى خطيرة ومدمرة .

إلا أن هذه المعلومات عن القوى الحقيقية التى تقف خلف استراتيجية بوش الجديدة . . استراتيجية (الحرب) باسم السلام . . لا تغنى عن قراءة متأنية لبنودها ومراميها تمتد لأبعد من (بغداد) . . حيث النار ستشتعل حتماً فى مياه الخليج وصولاً إلى طهران وتل أبيب فى آن واحد . . هل ترانا نبالغ ؟ لنتابع المشهد ولنقرأ الأحداث والاستراتيجيات جيداً .

لكى نفهم الولايات المتحدة الجديدة فى المنطقة . . ينبغى أن نعرف أن القانون الذى يحكم علاقة واشنطن بالعالم اليوم تقيمه على مقياس قوتها من حجم وكفاءة القوة العسكرية قياساً بباقى الدول . . وتحاول به ـ وفقاً لأولوياتها الوطنية ـ أن ترسم حدود مستقبلها . . ومستقبل العالم أجمع . . هذا القانون هو الذى طبقته واشنطن فى العراق ولكنه قانون أدى إلى الفشل ، لأنه يقوم على عدم التكيف مع كل ما تتخيله تهديداً خارجياً . . بل يستهدف إزالته بالقوة . . والقوة المفرطة وحدها . . وهو ذات المعنى الذى كان قد أسس به جابوتنسكى ـ الأب الروحى للعنصرية الصهيونية منذ أكثر من سبعين عاماً ـ لكيانه الصهيونى فى فلسطين حين قال ثلاثة معانى مهمة : الأول : «إن العالم يشفق على المذبوحين ولكن يحترم السفاحين أكثر» .

الثانى : «إن التاريخ لا تصنعه الأحذية الثقيلة بل تكتبه أيضاً» .

الثالث : «إن القمة لا تحتمل إلا شخصاً واحداً وراء مدفع من العيار الثقيل» .

من هذه العقيدة القائمة على القوة كما أصلها كل من جابوتنسكى وروبرت كاجان وما بينهما من قوى وخبراء من تيار المسيحية الصهيونية الحاكمة فى أمريكا ـ جاءت استراتيجية الولايات المتحدة الأخيرة التى تحاول أن تقود بها العالم بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة . .

المخابرات الروسية (K.G.B)

تأسست المخابرات الروسية(K.G.B) عام ١٨٨١ . . أى أنها كانت أسبق فى التأسيس من نظيرتها الأمريكية . . وفى البداية كانت أقرب ما تكون لجهاز شرطة سرى . . وخاص لحماية القيصر . . وفى عام ١٩١٧ وبعد اندلاع الثورة البلشفية تأسست المفوضية فوق العادة لمكافحة أعداء الثورة والقضاء على التخريب . . وهنا يجب أن نشير إلى حقيقة مهمة وهى أن الروس هم أشد الدول حرصاً على الاهتمام بالجاسوسية وتدريب الجواسيس . . وتوجد مدارس كثيرة للجاسوسية فى مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتى يبلغ عددها عشر مدارس . . وكل مدرسة تختص بلغة معينة من العالم مثل مقر الاستخبارات العسكرية فى موسكو وهى أهم كلية حربية لدى الجيش . . وتدرس إلى جانب المناهج الاعتيادية أنواعاً خاصة من الممارسات الاستخباراتية مثل الكتابة السرية . . والتصوير على الأفلام . . وكيفية التعامل مع العملاء السريين وغيرها .

ويقع مقر المخابرات الروسية فى مدينة جوركى من موسكو (وتسمى مدرسة ماركس إنجلز) وتعتبر . . بالنسبة للجواسيس . . مدرسة ابتدائية لأنهم يقضون فيها أربعة شهور يتعلمون فيها :

١ ـ تاريخ الحركة العمالية .

٢ ـ تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى .

٣ ـ النظام والانضباط والطاعة .

وينقل الطلاب إلى مدرسة (لينين التقنية) بالقرب من الحدود السوفيتية ، وأول مادة تدرس لهم هى الرياضة . . دورة الرماية واستعمال الأسلحة . . ويليها التدريب على الشفرة وحلها . . واستعمال أجهزة الإرسال وتضم برامج التدريب دراسات عن الأمن العام . . والقانون والاستراتيجية العسكرية ومكافحة التجسس ومراقبة الجواسيس وكيفية التهرب من الآخرين ودراسات كاملة عن بعض اللغات .

ومدة الدراسة سنتان ونصف السنة فى هذه المدرسة وتبدأ الامتحانات فيها من قبل ضباط المخابرات والمتخصصين والخبراء ، ويصنف الناجحون بعد ذلك إلى قسمين :

١ ـ قسم يؤهل للعمل خارج البلاد .

٢ ـ قسم يؤهل للعمل داخل البلاد .

ويعقب هذه التدريبات . . الاعتقال التأديبى ، لمعرفة مدى قدرة الجاسوس النفسية والجسدية فى حال إلقاء القبض عليه واعتقاله من قبل أجهزة المخابرات الأخرى .

مدرسة كتايسكايا : يتم فيها إعداد الجواسيس المخصصين للتجسس على الصين .

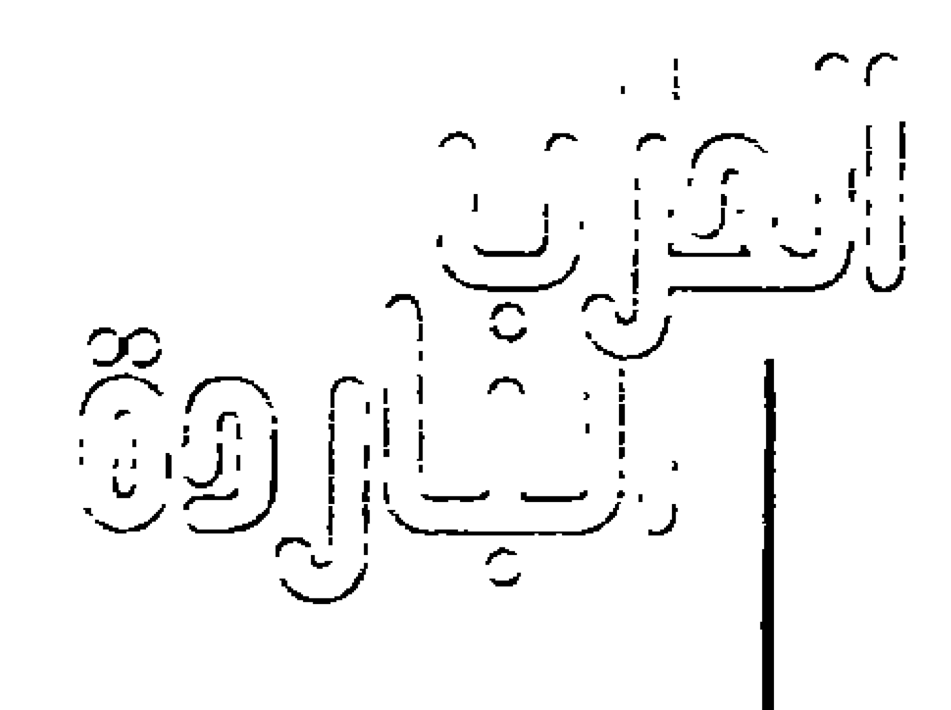
مدرسة جاسزينا : وفيها يتم تأهيل الجواسيس للتجسس على الدول الناطقة على نماذج مشابهة لنماذج الحياة فى الدول الغربية . . وتحتوى على بارات مماثلة للطابع الغربى الانجليزى . . ويرتدى الجاسوس ملابس الدول الغربية ويتعاملون مع بعضهم بأسماء غربية ، وتقوم بحراسة المدرسة مجموعة من القوات المسلحة على أعلى درجة من التدريب والمهارة . . وقد برع المواطن الروسى ـ فى ظل المبادئ الشيوعية ـ فى التجسس على مواطنيه . . بل على أهله وعشيرته أنفسهم ، مما أكسبه مهارة فى هذا المجال وقد تخرج من هذه المدارس جواسيس مشهورون مثل (دودلف ابل) (كونون مولودى) . . وهما إثنان من أهم عملاء المخابرات السوفيتية عبر تاريخها الاستخباراتى كله .

■■■

2

اللوبى اليهودى.. كيف أدار أمريكاوالعالم أثناء سنوات الحرب الباردة

□□



ولليهود دور . . وأى دور فى الولايات المتحدة الأمريكية . . بالطبع غبر تاريخها كله . . وهذا ليس محور حديثنا الآن . . فما يهمنا هو دور اللوبى الصهيونى فى إدارة سنوات الحرب الباردة . . وكذلك الدور الذى لعبوه مع . . ومن خلال رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية فى الاستجابة للمصالح الصهيونية- الأمريكية . . ومع بيان أهم منظماتهم واختصاصاتها . . وما مدى تأثير اللوبى الصهيونى على مجريات الأحداث بها . . وفى البداية لابد أن نعرف معاً نبذة تاريخية مختصرة عن :

اليهود فى أمريكا

هاجر اليهود إلى الولايات المتحدة عبر ثلاث مراحل : المرحلة الأولى هجرة اليهود السفارديم من إسبانيا والبرتغال . . والثانية هجرة اليهود الألمان بعد ١٨٤٠م . . ثم الهجرة الكبرى من أوروبا الشرقية بعد عام ١٨٨٠م . . ثم تكاثر اليهود حتى وصل عددهم . .بحلول عام ١٩٢٠م . . إلى ثلاثة ملايين ونصف المليون . . ومنذ ذلك الوقت بدأ اليهود بتأسيس الجمعيات الأخوية والوكالات الاجتماعية والمعابد والمدارس وقاموا بتطوير المنظمات الصهيونية من أجل السعى لتحقيق الحلم الصهيونى بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين . . ولعبوا دورا أساسيا فى تغذية الصهيونية السياسية منذ ظهورها .

ومن الأخطاء التاريخية الشائعة أن أول مؤتمر صهيونى الذى عرف باسم "مؤتمر بال" عقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م . . لكن الحقيقة أن أول مؤتمر للصهيونية عُقد فى مدينة كاتوويتز بالقرب من الحدود الروسية . . ١٨٨٤/١١/٦م . . وإن كانت الانطلاقة الحقيقية

للصهيونية العالمية إنما جاءت من مؤتمر بازل . . وقرر المجتمعون استعمار فلسطين بفلاحين يهود . . وقد حضر المؤتمرين ممثلون عن يهود أمريكا .

حرص اليهود فى أمريكا على تأسيس ما يسمى (البلاط اليهودى) ويقصد به ذوو الثراء والنفوذ الذين لهم تأثير كبير . . كما فعلوا فى أوروبا من قبل . . وليس بمستغرب إذن أن يوافق الكونجرس فى ١٩٢٢/٦/٢٠م على وعد بلفور وجاء فى قراره . إن الولايات المتحدة تفضل إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى .

ولإحساس زعماء الصهاينة بأن الولايات المتحدة سوف تكون القوة الجديدة القوية بعد الحرب العالمية الثانية ـ اتجه اهتمامهم البالغ إليها . . ولهذا السبب قرر المؤتمر الصهيونى ضرورة أن يكون هناك ٤٠٪ من الأعضاء المشتركين فى المجلس الصهيونى من الولايات المتحدة . ومن العجب أن المؤتمر الذى عقده مجلس الطوارئ التابع للمنظمة الصهيونية فى أمريكا (نيويورك) عام ١٩٤٣م ـ صدرت عنه ثمانية قرارات ، أخطرها : ضرورة الاعتراف بعلاقة الشعب اليهودى التاريخية بفلسطين . . والاعتراف بحقهم فى الدفاع عنها . . والقرار الثالث هو عدم إمكان قيام نظام العالم الجديد على أسس السلام والعدالة والمساواة إلا بحل مشكلة التشرد اليهودى حلا نهائيا .

واستطاع اليهود ربط مصير النظام العالمى بقضيتهم بمكر عجيب . . وتحقق لهم ذلك . . فقد صدر قرار التقسيم من عصبة الأمم وتم الإقرار عالميا بحق اليهود فى جزء من فلسطين . . وانطلقوا من هذه النقطة إلى أطماعهم الأخرى .

وأعلن رئيس المنظمة الصهيونية الحاخام (جولد ستير) أن مهمة الحركة الصهيونية من الآن فصاعدا هى اكتساب موافقة الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكى على البرنامج الصهيونى الخاص بفلسطين .

وعندما تم إعلان قيام دولة إسرائيل سأل أحد أعضاء المنظمة المسئولة عن التمويل اليهودى فى أمريكا بن جوريون عما تطلبه إسرائيل من يهود أمريكا . . فأجاب الأخير : الدولة الجديدة سوف تحتاج عون الولايات المتحدة لتستطيع البقاء .

ومن ثم استمر الدعم الأمريكى اللامحدود لإسرائيل .

ومن ثم هناك طرق خيالية لوصف عمل هذه المجموعات وهى أن شخصا ما يدخل مرحاض إحدى الحانات فى نيويورك . . وبينما هو واقف عند المبولة . . يلاحظ أن أحدا ما قد كتب (انكحوا اليهود) على جدار المرحاض . . ويجرى اتصالا هاتفيا سريعا . . ويندفع رجل من عصبة التحالف ضد الافتراء ADL وهى منظمة يهودية مشهورة ، نحو الحانة كى يرى الجدار للحصول على بصمات الأصابع . . وتدقق عصبة التحالف فى البصمات ضمن ملفاتها عن المعروفين من المعادين للسامية . . ثم تنشر صورة للجدار فى نشرتها التالية قائلة : إن هذا يبين أن معاداة السامية تتزايد وأن على الجميع أن ينضموا إلى منظمة بناى بيرث . . والتالى فى الوصول سيكون ممثل اللجنة الأمريكية اليهودية AJC والذى سيلتف حوله ثم يعلن خططاً من أجل دراسة أكاديمية رئيسية عن الكتابة الجدارية المعادية للسامية . . وستنشر أيضاً كتيباً يثبت أن يهوديا هو الذى اخترع (المارتينى) . . كى يجرى توزيعه فى الحانات . . ثم سيصل المجلس اليهودى الأمريكى . . ويضع حاجزا خارج الحانة . . ويقدم عريضة إلى المحكمة العليا . . كى تمنع بيع المشروبات الكحولية إلى أى شخص يقوم بتعليق معادٍ للسامية .

لم يكن هذا الكلام سوى تعبير خيالى لطيف يصور عمل المنظمات اليهودية فى أمريكا . . ومما يدعو للتعجب أن سرعة الانتشار وتنامى وازدياد القدرة على التأثير اليهودى فى أمريكا حصل بمعدل زمنى يشبه الأسطورة .

ففى عام ١٩٤٣م اجتمعت وفود من ٣٢ منظمة يهودية فى أمريكا لتقرير الدور الذى ستقوم به الجماعة اليهودية ـ الأمريكية لإقامة الدولة فى فلسطين . . وتمخض هذا الاجتماع عن تكوين المؤتمر اليهودى ـ الأمريكى المتكون من ٤٦ منظمة يهودية تضم مليوناً ونصف المليون يهودى أمريكى .

ولم يأت عام ١٩٩١م . . حتى مثل القوى اليهودية التى تواجه الرئيس جورج بوش الأب عندما قرر تأخير ضمانات القروض التجارية الممنوحة لإسرائيل البالغة ١٠ مليارات دولار . . مثلها ١٣٠٠ ألف وثلاثمائة قائد لمنظمات يهودية محلية على امتداد أمريكا . . من خامات

ومعلمى مدارس ومحامين وعمال اجتماعيين ورجال أعمال . . والمنظمات هى جمعيات دينية يهودية ووكالات حقوق مدنية وصناديق إنعاش وجمعيات أخوية . . .الخ .

وقد عبر (ديفيد لوتشنز) نائب اتحاد التجمعات الأرثوذكسية اليهودية فى أمريكا والمساعد الرئيسى لنائب نيويورك فى مجلس الشيوخ عن شعوره بالزهو من هذا النجاح القياسى قائلاً :

(إن جزءا من الأساطير الجديدة لليهود الأمريكيين أننا لم نعد أقلية . . لقد أصبحنا جزءا من الأكثرية . . إننا مقبولون الآن ولدينا نمو . . ورئيس الولايات المتحدة يجتمع بشكل منتظم مع القيادة اليهودية . . ثمة أمر لا يصدق . . فأنت تتذكر الخمسة والعشرين أو الثلاثين سنة الماضية وعليك أن تقف فى خشوع لأن هذا قد حدث فعلا فى حياتى . . لقد حدث فعلا . . لقد وصلنا) .

ولا ريب أن له أن يشعر بالزهو والفرحة الغامرة لا سيما إذا علمنا أن حجم المساعدات الخارجية المرسلة كل سنة إلى إسرائيل تبلغ ٣مليارات دولار . . أى أن الشعب الأمريكى يدفع (الخمس) من المساعدة الخارجية فقط لإسرائيل التى لا تتجاوز ٥ملايين نسمة .

المنظمات اليهودية

رغم كون اليهود أقلية فى أمريكا . . غير أنهم أكثر الأقليات تنظيما . . وقد استطاع اليهود أن ينشروا فى الولايات المتحدة الأمريكية عددا لا يحصى من المعابد . . ومراكز الشباب . . ومنظمات تمويل . . ومجموعات ثقافية وتعليمية . . ووكالات للعلاقات الطائفية . . وهيئات خيرية . . وأغلبها علمانى . . ولكنها تستند إلى أساس اجتماعى وعرقى لليهود .

ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام :

١ ـ منظمات طائفية

٢ ـ منظمات صهيونية

٣ ـ منظمات ذات توجه خاص

٤ ـ منظمات تمويل

٥ ـ اللوبى المناصر لإسرائيل

وهذه نبذة مختصرة عن كل قسم من هذه الأقسام :

١ ـ المنظمات الطائفية : وهى نوعان :

النوع الأول : منظمات دفاعية

النوع الثانى : اتحادات يهودية

أما النوع الأول : وهو المنظمات الدفاعية . . فبعد الحرب العالمية الثانية . . تم توسيع عمل هذه المنظمات وأسقطت كلمة دفاعية . . وأعادت تعريف نفسها بأنها وكالات علاقات الطائفة وانصبت اهتماماتها على العلاقات بين المجموعات والحقوق المدنية والحرية الدينية والفصل بين الكنيسة والدولة وأحوال اليهود فى العالم والعمل لدعم إسرائيل . . وتتمثل المنظمات الدفاعية فى اللجنة اليهودية ـ الأمريكية والكونجرس اليهودى ـ الأمريكى وعصبة مناهضة الافتراء التابعة لـ(بناى بيرث) .

وأما النوع الثانى : فهو وكالات محلية مسئولة عن التمويل والتخطيط ويتم التنسيق بين هذه الاتحادات بواسطة منظمتين مظليتين ، هما أهم المنظمات الطائفية بنوعيها السابقين فى الولايات المتحدة الأمريكية . . وهى :

١ ـ مجلس الاتحادات اليهودية .

٢ ـ المجلس الاستشارى لعلاقات الطائفة اليهودية القومية . . وينتظم تحته ١١منظمة قومية . . و١١١ منظمة محلية .

٣ ـ اللجنة اليهودية ـ الأمريكية (وهى منظمة نخبة) وينتظم تحتها ٢٣ مكتب تنظيم . . و٨٠ فرعاً . . وهى تقوم بتتبع مستمر للمواقف الأمريكية العامة من اليهود وإسرائيل . . وإعداد المذكرات والنشرات المتعلقة بتفسير مواقف إسرائيل لصانعى السياسة الأمريكية ورؤساء الأعمال والكنيسة والعمال والعاملين .

٤ ـ الكونجرس اليهودى الأمريكى

٥ ـ عصبة مناهضة الافتراء التابعة لـ (بناى بيرث) أى أبناء العهد . . وقد تأسست عام ١٨٤٣ . . ولها فروع فى ٤٢دولة ولها فى أمريكا ٥٠فرعاً . . واهتمامها ينصب على العلاقات

اليهودية ـ المسيحية . . واهتمت مؤخراً بالعلاقات بين اليهود والسود . . وقد اكتسبت شرعيتها الأدبية ومكانتها المرموقة إلى الحد الذى دفع الرئيس ريجان إلى وضع قرار مشترك فى الكونجرس يعلن فيه أن ١١/١٢ هو يوم عصبة مناهضة الافتراء .

٢ ـ المنظمات الصهيونية

وطبقا للتعريف المعاصر للصهيونية الذى ورد عام ١٩٦٨م . . عن المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين بالقدس . . فإن أهداف الصهيونية المعاصرة التى تتمسك بها المنظمات الصهيونية هى :

- وحدة الشعب اليهودى ومركزية إسرائيل فى الحياة اليهودية .
- تجميع الشعب اليهودى فى وطنه التاريخى ، أرض إسرائيل ، عن طريق الهجرة .
- المحافظة على هوية الشعب اليهودى بتنمية التعليم اليهودى والعبرانى والقيم الروحية والثقافية .
- حماية الحقوق اليهودية فى كل مكان .

وبناء على هذا فالمنظمات الصهيونية ـ الأمريكية تشجع الهجرة . . وتعليم العبرية وترعى النشاطات السياسية والثقافية المناصرة لإسرائيل .

وهى تضم المنظمات التالية :

١ ـ الوكالة اليهودية لإسرائيل

٢ ـ المنظمة الصهيونية العالمية

٣ ـ الاتحاد الصهيونى الأمريكى

٤ ـ منظمة هداسا وتعنى الريحان

٥ ـ المنظمة الصهيونية فى أمريكا

٦ ـ رابطة الصهيونيين الإصلاحيين

٤ ـ المنظمات ذات التوجه الخاص

وتضم المنظمات التالية :

١ ـ عصبة الصداقة الإسرائيلية ـ الأمريكية .

٢ ـ مؤسسة الشباب للسلام فى الشرق الأوسط .

٣ ـ اللجنة القومية للعمال فى إسرائيل ، وهى منظمة مظلية لمجموعات العمال الأمريكيين .

٤ ـ مجلس اتحاد العمال الأمريكيين .

٥ ـ الأمريكيون من أجل إسرائيل آمنة .

٦ ـ المجلس القومى لإسرائيل الفتاة .

٤ ـ منظمات التمويل .

وتعتبر جباية الأموال من اليهود الأمريكيين جيدة التنظيم وتقدر بنحو بليون دولار سنويا . . وتشمل فئتين من المنظمات :

(أ) فئة تجمع الأموال من المساهمات المعفاة من الضرائب :

ـ النداء اليهودى المستجد .

ـ النداء الإسرائيلى .

ـ لجنة التوزيع المشترك اليهودية الأمريكية .

ـ الصندوق القومى اليهودى فى أمريكا .

ـ صندوق قضية إسرائيل

ـ صندوق إسرائيل الجديد

(ب) فئة تجتذب الاستثمارات العالمية إلى إسرائيل وتضع الأموال تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية كى تقترضها بشروط ملائمة . . وهى :

ـ منظمة سندات دولة إسرائيل .

ـ الشركة الاقتصادية الإسرائيلية .

ـ الشركة الأمريكية ـ الإسرائيلية .

٥ ـ اللوبى المناصر لإسرائيل

يضم اللوبى المناصر لإسرائيل المنظمات التالية :

- اللجنة الأمريكية ـ الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك) .
- لجان العمل السياسى المناصر لإسرائيل .
- مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى .
- المعهد اليهودى لشئون الأمن القومى .

وتعد (إيباك) المنظمة الوحيدة المسجلة رسميا فى الكونجرس الأمريكى على هيئة لوبى فيما يختص بالتشريعات التى تمس إسرائيل . . وهى غير معفاة من الضرائب . . ولا تقبل أى تمويل من الحكومة الإسرائيلية حتى لا تسجل فى وزارة العدل الأمريكية على أنها وكالة أجنبية . . ويشغل منصب رئيسها عادة رجل ثرى وذو نفوذ ويتمتع باحترام المؤسسة اليهودية ـ الأمريكية وينتمى إليها .

اليهود ورؤساء أمريكا أثناء سنوات الحرب الباردة

١ ـ اليهود فى عهد ترومان

يتم تأثير اليهود فى السياسة الأمريكية عن طريقين أحدهما : وجود يهود فى الإدارة الأمريكية . .و الثانى : التأثير على شخص الرئيس من خلال انتخابات الرئاسة . . وقد جرت العادة ابتداء من الرئيس روزفلت إلى جونسن . . على أن يعيش بالقرب من كل رئيس شخص ذو وزن سياسى ، غالبا ما يكون يهودياً ، ومهمته التصدى للخط السياسى الذى يتبناه المتعاطفون مع العرب فى وزارة الخارجية . . ويكون هذا الشخص حلقة اتصال بين الرئيس الأمريكى وزعماء الجالية اليهودية الأمريكية ، ويطلق عليه لقب (حامل الحقيبة اليهودية) . ويعتبر عهد ترومان هو بداية الضغط اليهودى المباشر من أجل إسرائيل . . فعندما عارض ترومان مبدئيا عام ١٩٤٧م ، إنشاء دولة لليهود فى فلسطين ، قام اليهود بحملة إعلامية كان من نتيجتها تبنى النواب والشيوخ قرارات تدعو الرئيس ترومان إلى تأييد إقامة الدولة اليهودية . .

وتمثلت مشاركة اليهود فى إدارة ترومان فى كل من ليوبافوسكى مساعد وزير الخارجية . . وماكس ليفا سكرتير وزير الدفاع . . وبرنارد باروح رئيس لجنة الذرة . . وفلنجمان مدير الإنتاج الحربى . . وسام برجر المستشار الخاص لترومان .

٢ـ عهد كينيدى

أما فى عهد كينيدى فقد استحوذ اليهود على مراكز غاية فى الحساسية مثل مورتيمل كابلن ، رئيس صندوق الدخل القومى . . وبيير سالينجر ، السكرتير الصحفى للرئيس . . وآرثر جولدبرج ، وزير العدل . . وويلارد ويلتز الذى جاء وزيرا للعمل بعد جولدبرج . . ويوتى وينو رئيس لجنة الاتصالات الفيدرالية . . وابراهام وبيبكوف ، وزير الصحة والتعليم .

٣ـ عهد جونسون

ليندون جونسون وجون كينيدى

وفى عهد جونسون زاد النفوذ اليهودى فى الإدارة الأمريكية وتجلى ذلك فى تعاطف جونسون مع إسرائيل . . وقد ضم جونسون إلى إدارته كلا من أبدوين ويزل ، رئيس اللجنة التنفيذية . . والمستشار المالى الخاص لجونسون وويلير كوهين ، وزير الصحة وأب فورتاس ، رئيس المحكمة العليا . . ووالت روستو المستشار الأول للشئون الخارجية .

٤ـ عهد نيكسون

وفى عهد نيكسون زاد التأييد لإسرائيل . . وعندما زارت جولدا مائير الولايات المتحدة فى فبراير ١٩٧٣م . . أكدت صراحةً هذا المعنى . . وأوضحت أن الجيش الإسرائيلى هو خط الدفاع الأول عن المصالح الأمريكية . . مما حدا بالرئيس نيكسون إلى تبنى فكرة المشاركين المخليين ووضع إسرائيل فى موضع استراتيجى شامل . . وكان دور كسينجر مكملا ومنفذا لهذا المبدأ من خلال موقعه كصانع للسياسة الخارجية الأمريكية خلال الفترة من عام ١٩٦٧م إلى عام١٩٦٩م . . وبناء على ذلك لعبت الجماعة اليهودية دورا كبيرا فى إعادة انتخاب نيكسون للمرة الثانية . . ويرجع الفضل فى ذلك إلى هنرى كيسنجر . . لأن الرئيس فى فترة رئاسته

الأولى منح إسرائيل مساعدات بلغت ١١٧٨ مليون دولار . . وهذا الرقم يفوق ما حصلت عليه إسرائيل فى تسع سنوات سابقة . . وبعد فوزه للمرة الثانية قام بتعيين لهم عدد من اليهود فى المناصب المهمة فى الدولة . . ووافق على بيع أربع أسراب من طائرات مقاتلة .

وهنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا الأشهر يهودى . . صهيونى . . تدرج بسرعة فى المناصب الحساسة فى الإدارة الأمريكية حتى وصل إلى تولى حقيبة وزارة الخارجية فى أغسطس ١٩٧٣م . . بالإضافة إلى كونه مستشارا للأمن القومى . . وصارت له السيطرة التامة على سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط . . ولقد لعب دورا مهما فى إنقاذ الكيان الصهيونى من هزيمته التى تكبد فيها خسائر تربو على ٢٦٠٠ جندى إلى جانب خسائر مدمرة فى الأراضى فى حرب الأسابيع الثلاثة التى باغتت فيها مصر وسوريا إسرائيل فى يوم السبت يوم الغفران ١٩٧٣/١٠/٦م . . لقد سارع كيسنجر ـ كما ذكر فى مذكراته التى نشرت عام ١٩٨٢م . . (سنوات من الاضطراب) ـ لطلب المسارعة فى تموين الكيان الصهيونى بجسر جوى من الأسلحة اللازمة يوم الأحد ٧/ ١٠ / ١٩٧٣ . . ثم لعب بعد ذلك دورا أساسيا فى انطلاق المفاوضات التى تسلسلت منذ مفاوضات الكيلو ١٠١ يوم ٢٨ أكتوبر ٧٣م . . ثم مؤتمر جنيف للسلام فى ديسمبر ٧٣م . . ثم اتفاقات فك الارتباط فى سيناء . . ثم سعيه المتواصل الذى أدى بعد سنوات إلى اتفاقية كامب ديفيد التى أثمرت ما نحن فيه الآن من الضعف والهوان .

ولا شك أن..

المتابع لقصة يهود أمريكا لا يستطيع أن يصرف النظر عن اعتبار فترة الرئيس نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر هى إحدى أكبر فترات التأثير اليهودى فى الإدارة الأمريكية . . بالرغم من كون الرئيس نيكسون ـ وكما يشاع عنه ـ لم يكن يثق فى اليهود . . إلا أنه ، وبحكم التاريخ ، يصبح المسئول الأول لتوسع النفوذ اليهودى . . وانتشار هيمنتهم أثناء ولايته . . ومع ذلك ما من رئيس حكم بلاد العم سام كان صاخباً فى نزاعه مع اليهود الأمريكيين أكثر من ريتشارد نيكسون . . وكان الرئيس مستاء بعنف من حقيقة أن لليهود تمثيلا ضخما بين خصومه فى حركة مقاومة الحرب . . ومع أنه أخفى عدم ثقته باليهود عن الجمهور . . فإنها كانت تظهر سرا بصورة دائمة . . وقد أمر ذات مرة أحد معاونيه كى يضع قائمة بالموظفين اليهود فى وزارة

العمل . . لاقتناعه بأن خططها الاقتصادية المتشائمة كانت نتيجة مؤامرة وبما يدعو للسخرية إذ إن نيكسون كان المسئول الأول أكثر من أى شخص آخر . . عن دفع اللوبى اليهودى إلى موقف اللاعب الرئيسى فى واشنطن . . وبأسلوب واشنطن سرعان ما تحول صندوق مساعدة إسرائيل ذى المليارات العديدة إلى حق مكتسب وأصبحت إسرائيل وشئونها قضية ضخمة فى واشنطن . . وبفضل نيكسون ووزير خارجيته . . أصبح أفراد اللوبى اليهودى . . بصفتهم أكثر مؤيدى إسرائيل المرئيين . . أشخاصا مهمين فجأة .

وقد وقف كيسنجر عام ١٩٩٢م خطيبا عندما تلقى جائزة المنظمة السنوية لذكرى (إيلى فيسل) عن المحرقة . . فقال هذه الكلمات التى تعبر بوضوح عن دوافع دوره المؤيّد لليهود عندما كان وزيرا للخارجية . . قال (لقد كنت بصفتى يهوديا . . فى موقع إدارة السياسة الخارجية لقوة عظمى . . ولم أحجب مطلقا حقيقة أن اثنى عشر فردا من أسرتى ماتوا فى المحرقة . . وأن مصير الشعب اليهودى نتيجة ذلك كان دائما موضع اهتمام عميق بالنسبة لى) .

٥- عهد فورد

جيرالد فورد

وفى عهد الرئيس فورد ظهر تحيز أمريكا المطلق تجاه إسرائيل . . فقد عارض الرئيس بشدة أى انسحاب إسرائيلى من الأراضى العربية فى أى مفاوضات بينها وبين العرب . . كما اختار وليام سكرانتون ، وهو يهودى ، مندوبا للولايات المتحدة فى الأمم المتحدة . . ووافق على استمرار كيسنجر فى منصبه فى مجلس الأمن القومى . . وعندما أعلن الرئيس فورد فى مارس عام ١٩٧٥م . . إعادة تقييمه لسياسة أمريكا فى الشرق الأوسط وتأجيل المساعدات الأمريكية المالية والعسكرية لإسرائيل قام اللوبى الموالى لإسرائيل بتوجيه رسالة إلى الرئيس فورد بتوقيع ٧٦ من أعضاء مجلس الشيوخ يطلبون فيها التجاوب مع المطالب السياسية والعسكرية لإسرائيل . . وقد وجه اللوبى انتقادات شديدة اللهجة وهجوما شرسا على أعضاء مجلس الشيوخ الذين رفضوا التوقيع على الرسالة ومن بينهم السيناتور تشارلز بيرس من شيكاغو وقد أدت الحملة اليهودية ضده إلى عدم نجاحه فى انتخابات عام ١٩٤٨م . . فلا عجب إذن أن تبلغ ما حصلت عليه إسرائيل من مساعدات خلال إدارتى نيكسون وفورد . . وكلاهما جمهورى . . ما بين عامى

١٩٦٩م ١٩٧٦ م ـ يفوق كل ما حصلت عليه من مساعدات أمريكية منذ قيامها وحتى عام ١٩٦٩م . . أى ما يربو على عشرين عاما منذ تأسيسها .

٦ـ عهد كارتـــر

وقد وصل بنا الحديث إلى نفوذ يهود أمريكا فى فترة الرئيس كارتر صاحب المقولة المشهورة (لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء أمريكا . . أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة . . لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة . . وهى علاقة لا يمكن تقويضها . . لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه . . لقد آمن الرواد وأقوام تجمعوا فى كلا الشعبين : إسرائيل والولايات المتحدة . . بأن شعبى الأمريكى أمة مهاجرين ولاجئين . .إننا نتقاسم معا ميراث التوراة .

أما كارتر فبالرغم من كونه قد أيد فى البداية منح وطن للاجئين الفلسطينيين . .وذلك بعد توليه الرئاسة بشهرين . . غير أن اللوبى الصهيونى المناصر لإسرائيل قام بتعبئة الرأى العام الأمريكى ضد هذا القرار وتدفق سيل من البرقيات على كارتر يندد بسياسته مما جعله يتراجع عن قوله السابق . . وأعلن فى اجتماع له مع ٥٣ زعيما يمثلون المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة أنه يتعين على جميع الدول العربية إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل جزء من تسوية شاملة فى منطقة الشرق الأوسط . . كما وافق كارتر على منح إسرائيل مبلغ ١٠٦ ملايين دولار لمساعدة إسرائيل فى إنتاج الدبابة شاريوت وتزويد إسرائيل بـ ١٨ طائرة مروحية وعدد من طائرات (F.16) المقاتلة المتطورة . . وضغط اللوبى على كارتر لإقالة اندرويونج . . سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة لاجتماعه مع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية زهدى الطرزى .

وبعد صدور البيان الأمريكى ـ السوفيتى متضمنا الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ـ ظهر احتجاج قوى بين الجماعات اليهودية نتيجة لهذه الضغوط من المناصرين لإسرائيل فى الكونجرس الأمريكى تراجعت إدارة كارتر عن البيان الأمريكى ـ السوفيتى ولم يعد أساسا لعقد مؤتمر جنيف .

يقول إسرائيل شاحاك ، الكاتب اليهودى الشهير ، فى كتابه (أسرار مكشوفة) :

الضغوط التى مارسها اليهود على إدارة كارتر اتبعت إسرائيل من أجلها سياسات لا تتفق مع المصالح الأمريكية ، وفضلا عن ذلك تمكنت إسرائيل من استغلال نفوذها فى الكونجرس ووسائل الإعلام الأمريكية لإجبار الإدارة الأمريكية- بين وقت وآخر- على عكس سياساتها تماما . . فعندما أعلنت إدارة الرئيس كارتر وفاقها مع الاتحاد السوفيتى . . كبرنامج لسياساتها فى الشرق الأوسط . .قامت حكومة بيجين التى لم تستسغ هذا الموقف بإرسال وزير خارجيتها آنذاك موشيه دايان إلى الولايات المتحدة ، حيث نجح فى ثلاثة أيام فى حمل إدارة كارتر على نقض نفسها بصورة مخزية ، ويمكننا أن ننظر إلى زيارة السادات للقدس ومفاوضات كامب ديفيد ومعاهدة السلام الإسرائيلية- المصرية واجتياح لبنان فى العام ١٩٨٢م . . على أنها أحداث ناجمة كلها عن إذلال دايان لكارتر فى تلك القضية .

٧- عهد ريجان

فى سعيه لكسب الأصوات اليهودية حرص ريجان على زيادة الروابط مع المؤسسات اليهودية- الصهيونية فى الولايات المتحدة قبل موعد الانتخابات الرئاسية . . وقام ريجان بتعيين اليهودى مارشال بيرجر مسئولا عن التنسيق بين لجنة الحملة الانتخابية والمجموعات اليهودية فى الولايات المتحدة ، وعين اليهودى ألبرت شبيجل رئيسا لحملته الانتخابية . . وأخذ شبيجل يعرض لليهود سجل ريجان المؤيد لإسرائيل . . ومنها حضور ريجان تجمعات مؤيدة لإسرائيل خلال حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧م . . عندما كان حاكما لكاليفورنيا .

وخلال حملته الانتخابية زار ريجان المنظمة اليهودية بناى بيرث فى واشنطن فى ٣سبتمبر ١٩٨٠م . . وألقى خطابا قال فيه إن إسرائيل ليست أمة فقط بل هى رمز ، ففى دفاعنا عن حق (إسرائيل) فى الوجود إنما ندافع عن ذات القيم التى بنيت على أساسها أمتنا .

وبعد سقوط الشاه وقبل انتخابات الرئاسة الأمريكية أدلى ريجان بتصريح إلى الواشنطن بوست فى ١٥ أغسطس ١٩٧٩م . . جاء فيه : (إن أى منظمة إقليمية مؤيدة للغرب لن تكون لها أى قيمة عسكرية حقيقية دون أن تشترك إسرائيل فيها بشكل أو بآخر) .

وكان أهم موضوع فى الحملة الانتخابية للمرشح ريجان هو مزاعمه بعجز إدارة كارتر فى تقدير أهمية (إسرائيل) كرصيد استراتيجى للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط . . ففى مقالة

له فى الواشنطن بوست ذكر أن وضع الولايات المتحدة سيكون أضعف فى المنطقة بدون الأرصدة السياسية والعسكرية التى توفرها إسرائيل كقوة مستقرة وكرادع للهيمنة الراديكالية .

وعندما قررت السعودية عقد صفقة طائرات الأواكس . . قام اللوبى اليهودى فى أمريكا بضغوط كبيرة لإفشال الصفقة . . وتوصلوا أخيرا إلى تقليل فعالية الطائرات إلى أقل حد ممكن . . حيث صرح مستشار الأمن القومى ، ريتشارد آلن ، للمراسلين الصحفيين بأن الطائرات غير قادرة على التقاط الصورة التجسسية أو تحديد الأهداف الأرضية . .كما أن السعوديين لم يكونوا جاهزين لتنسيق هجوم عربى جوى تشترك به جميع الدول العربية ضد إسرائيل لأن الأواكس ستكون خالية من المعدات المعقدة التى تحملها معدات إلكترونية . . وإن الإسرائيليين يستطيعون التشويش على أجهزة الرادار فيها . . كما أن السعوديين وافقوا على عدم إرسال الأواكس فوق سوريا والأردن . . وقد ضحك المراسلون قائلين : (إذا كانت الطائرات عادية إلى هذا الحد فلماذا كان السعوديون يريدون شراءها؟) .

غير أن الإدارة الأمريكية مع ذلك وافقت على استخدام الفنيين الإسرائيليين الطائرات لمدة ٩ ساعات لغرض فحصها والتأكد من قدرتها العدوانية . . ولكن الإسرائيليين كانوا قلقين لأن أفضل دفاعاتهم هو تحقيق ضربة جوية مفاجئة على ارتفاع منخفض ، ولأن الأواكس مزودة برادار يتجه للأسفل قد عمل بصورة جيدة أثناء الغارة الإسرائيلية على العراق الأمر الذى يعنى إلغاء أهم التكتيكات فعالية .

ولهذا الغرض سافر ريتشارد مورفى السفير الجديد إلى السعودية وطلب تنازلات أخرى من السعوديين وذلك بجعل مهامات الطائرات الأواكس تنفذ بصورة مشتركة من قبل الأمريكيين والسعوديين . . ووافق السعوديون على هذا الأمر لغاية عام ١٩٩٠م . . وأبلغ ريجان الكونجرس بأن هذه الطائرات سوف لا تقترب أكثر من ١٠٠ ـ ١٥٠ميلا من الحدود السياسية . . ويقصد بذلك حدود إسرائيل . . وذكر المدافعون عن الصفقة أن مجال العمليات لطائرة الأواكس السعودية سيقتصر على حقول البترول الشرقية وموانئ الخليج مع توسيع نطاق العمل جنوبا لحماية البلاد من غارات تقوم بها اليمن الجنوبية أو إثيوبيا .

وبهذا يعلم أن الضغوط التى مارسها اليهود فى عهد ريجان فى قضية صفقة طائرات الأواكس . . كانت كبيرة ومؤثرة إلى درجة أفقدت هذه الصفقة أى فعالية لها ضد إسرائيل .

غـزو لبنـــان..

وفى عهد ريجان قامت إسرائيل بغزو جنوب لبنان . . وحدثت مجزرة مخيمى صبرا وشاتيلا المروعة فى جنوب لبنان فى ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م . . وذبح آلاف الأبرياء فى تلك المجزرة . . وأثر هذا الخبر تأثيراً كبيراً فى تشويه صورة إسرائيل فى أمريكا . . حيث نقلت صورة من المجزرة فى وسائل الإعلام الأمريكية .

ورغم أن الأمر العسكرى الإسرائيلى ينص على عدم دخول مخيمى صبرا وشاتيلا ، وعلى أن يقوم جيش الكتائب بذلك . . غير أن رئيس الأركان الإسرائيلى أبلغ قياديى الكتائب عند دخول الجيش الإسرائيلى إلى بيروت الغربية فى ١٥سبتمبر ١٩٨٢م بأن جيش الدفاع سوف يدخل أيضا إلى مخيمات اللاجئين صبرا وشاتيلا .

وقد أظهر الرئيس ريجان استياءه مما فعلته إسرائيل فى جنوب لبنان . . وقال إن بيجن قد ضلله فى موضوع دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية . . ثم قام الرئيس الأمريكى بحظر صفقة طائرات (F.16).. التى كان من المقرر تسليمها إلى إسرائيل . . وبعد ذلك استنفر يهود أمريكا لوقف تدهور العلاقات الأمريكية- الإسرائيلية كما عبر توماس داين مدير اللوبى الصهيونى . . وعلى إثر ذلك قامت إسرائيل بعدة خطوات وبالاستعانة بنفوذ اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة لأجل المحافظة على صورة إسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية كضامن للمصالح الأمريكية فى منطق الشرق الأوسط .

إيــران جيــت

وكان من نتائج هذا التحرك قضية إيران جيت . . وهى مبيعات الأسلحة التى نقلتها إسرائيل إلى إيران وتمويل قسم من أرباح الصفقة إلى معارضة نظام الحكم فى ساندينستا (قوات الكونترا) .

كما قامت الإيباك - (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة) وهو أقوى لوبى صهيونى فى الكونجرس متخصص فى التشريعات التى تمس إسرائيل - بنشر مجموعة دراسات تؤكد

القيمة الإستراتيجية الإسرائيلية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . . ونشر مدير بحوث الايباك مقالات أحادية الموضوع تحت عنوان القيمة الإستراتيجية لإسرائيل على أن تقدم للولايات المتحدة أربع مزايا رئيسة وهى :

أولاً : موقعها الجغرافى فى منتصف الطريق بين أوروبا والخليج العربى مما يجعل الولايات المتحدة قادرة على التحرك على ثلاثة مسارح لعمليات الخليج العربى والبحر الأبيض المتوسط . . والجبهتين الوسطى والجنوبية لحلف الناتو .

ثانيا : الاستقرار السياسى كونها غير معرضة للانقلابات والثورات .

ثالثا : الاعتماد السياسى ، أنها حليف مضمون .

رابعاً : التقدم التكنولوجى على أن إسرائيل البلد الوحيد المتقدم تكنولوجيا وأنها متشابهة تكنولوجيا مع الولايات المتحدة .

كما قام المجلس الاستشارى لعلاقات الطائفة اليهودية- الأمريكى . . بنشر خطة عمل مشتركة موجهة إلى جميع يهود الولايات المتحدة لأجل دعم إسرائيل ومساندتها فى غزو لبنان الذى يعتبر أمرا مشروعا وقد شملت خطة برنامج عام ١٩٨٢ - ١٩٨٣م توصية ببرامج تفسيرية تؤكد أن مصالح أمريكا والعالم الحر سوف تشمل تناقضاً داخلياً قاتلا إن لم تتضمن فرضية أساسية وهى الاعتراف بإسرائيل قوية وآمنة بوصفها حيوية المصالح للولايات المتحدة ، ومثل هذا الاعتراف يتطلب التوصيات التالية :

- أن تواصل الولايات المتحدة المساعدة الاقتصادية والعسكرية للدفاع عن إسرائيل بينما تتخذ خطوات ملموسة لتنفيذ التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل .

- أن تقدم الولايات المتحدة مثل تلك المساعدة على شكل قروض قد تحول ما يبقى منه إلى منح . . وتأخذ بعين الاعتبار حاجات الاقتصاد الإسرائيلى المجهد التى تولدت من الانسحاب من سيناء والنحو المتفجر للأسلحة على أن يتخلى العرب الذين قد يصبحون شركاء بالمصداقية عن أى نية لتدمير إسرائيل .

ـ توصى بأن بيع الأسلحة الأمريكية لبعض الدول العربية يؤدى إلى تحطيم أمن إسرائيل تدريجياً وأنها تغذى التطرف أكثر مما تخفف منه .

وبعد هذه الضغوط وأمام هذا التحرك ونشاط اللوبى الصهيونى والمنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة خفف الناطق الرسمى باسم البيت الأبيض من حدة قرار الرئيس فقال (ليس ثمة نتائج رسمية محددة فى أن إسرائيل انتهكت شروط قانون تصدير الأسلحة عبر غزوها لبنان) .

ثم اتخذ الموقف الرسمى الأمريكى موقفا ضد مشروع تقدمت به فرنسا لمطالبة إسرائيل بالانسحاب كامل من لبنان . . وطالب الموقف الأمريكى بإزالة الوجود الفلسطينى المسلح من بيروت وغيرها . . غير أن مجلس الأمن صوت بقرارى رقم ٥٠٨ و٥٠٩ . . مطالبا إسرائيل بالانسحاب من لبنان ووقف العمليات العسكرية . . وتقدمت إسبانيا بمشروع قرار لإدانة إسرائيل لعدم تطبيقها القرارين . . غير أن الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو ضد المشروع .

وفى عام ١٩٨٣م . . قام الرئيس ريجان بمشاركة الأقلية اليهودية فى عيدهم الهونوكاه . . وألقى خطابا يعتبر من أقوى البيانات تأييدا لإسرائيل . . قال فيه :

(إن الروابط بين الشعب الأمريكى والإسرائيلى تنمو الآن بقوة ويجب ألا تتقوض أبدا . . وإذا ما أجبرت إسرائيل على مغادرة الأمم المتحدة فان أمريكا ستغادرها مع إسرائيل أيضا) .

وينبغى التأكيد أن من الأسباب الرئيسية التى حملت ريجان على أن يكون عهده من أهم العهود التى استفاد منها يهود أمريكا لصالح إسرائيل . . هى كما عبر عنها بقوله لرئيس اللوبى الصهيونى توماس داين ، حيث قال ريجان : أنت تعرف أنى ألجأ إلى أنبيائكم القدماء فى العهد القديم . . وإلى العلاقات التى تكهن بـ (أرمجدون) وأجد نفسى أتساءل ما إذا كنا نحن الجيل الذى سيشهد حدوث ذلك . . وأعرف إذا كنت قد لاحظت هذه النبوءات مؤخرا ولكن صدقنى . . أنها تشير إلى الوقت الذى نمر فيه .

٨ـ عهد جورج بوش

يترضح دور يهود أمريكا فى التأثير فى عهد جورج بوش . . حتى أدى ذلك الدور إلى تراجع احتمالات نجاحه فى فترة جديدة . . ثم فشله فى الانتخابات بالفعل . . ما فعله اليهود عندما

قرر بوش رفض منح ضمانات القروض بقيمة ١٠ مليارات دولار للكيان الصهيونى من أجل توطين المهاجرين اليهود السوفيتى . . الذين بدأوا بالتدفق خارج روسيا بعد الفوضى التى حلت فيها إثر سقوط الاتحاد السوفيتى .

كان جورج بوش يريد أن يضغط على الكيان الصهيونى من أجل أن يمضى مشروعه الجديد بحل مشكلة الشرق الأوسط . . فرفض أن يمنح ضمانات القروض . . ليبرهن على صدق نوايا الولايات المتحدة الأمريكية فى حل المشكلة الفلسطينية . . لكنه لقى ضغطا هائلا من جماعات الضغط اليهودية فى أمريكا .

وكانت القوى السياسية التى تواجه الرئيس فى تلك اللحظة حوالى ألف وثلاثمائة قائد لمنظمات يهودية محلية على امتداد البلاد . . مجموعة من الحاخامات ومعلمى المدارس . . والمحامين . . والعمال الاجتماعيين . . ورجال الأعمال . . كانوا قد أتوا إلى واشنطن فى ذلك اليوم لمناقشة ضمانات القروض مع ممثليهم المنتخبين . . وبشكل منتشر خارجا عبر قبة الكابيتول . . كان مواطنو جماعات الضغط يغطون الكونجرس برسالة انفعالية وحيدة : يجب ألا يحتجز السبب الخير لحرية اليهود السوفييت رهينة للتقلبات السياسية فى عملية سلام الشرق الأوسط .

ولكن بدا أن الكونجرس ينحاز بقوة إلى جماعات الضغط . . وكان هجوم اليوم ـ يعنى هجوم بوش فى مؤتمر صحفى على ما أسماه القوى السياسية الفعالة ـ ذروة حملة أربعة أشهر من الضغط سعيا وراء ضمانات القرض . . التى اكتسبت دعما كافيا لدفع مجلسى الكونجرس كليهما . . كافيا فى الحقيقة . . ليس فقط لدفع الكونجرس ولكن لتهديد بوش بأول نقض للفيتو فى رئاسته . . إذا اختار الإصرار على الأمر . . وبدلاً عن ذلك . . كان بوش يتجاوز الكونجرس مباشرة إلى الشعب الأمريكى . . متذمرا من القوى السياسية الفعالة المنحازة ضد الفتى الصغير الوحيد فى البيت الأبيض .

وكان لانفجاره تأثيره المطلوب ـ أى اتهامه للقوى السياسية الفعالة التى فهم منها أنه يعنى اللوبى اليهودى فى أمريكا ـ وتلاشى دعم الكونجرس لضمانات القرض بين عشية وضحاها . . ووافقت القيادة فى كلا المجلسين على قرار بوش بالتأجيل أربعة أشهر . . لكن النصر الرئاسى لم يتحقق بدون ثمن .

كان جورج بوش يحرز نجاحا فى بداية سبتمبر ١٩٩١م . . وعلى الرغم من الاقتصاد الراكد . . كان تقدير الموافقة عليه فى الاستفتاء حوالى ٧٠٪ . . وهو أعلى من أى رئيس فى الذاكرة عند هذه المرحلة نفسها فى فترته الأولى .

وعلى صعيد العالم كان مظهر الرئيس يبدو مظهراً بطولياً . . فقد تركه انهيار الإمبراطورية السوفيتية خلال السنة والنصف الفائتة المنتصر المفترض فى الحرب الباردة . . زعيم القوة العالمية الوحيدة المتبقية .

والآن أصبح بوش مستعداً لتثبيت مكانته التاريخية بالسعى وراء الفرصة الطيبة فى السياسة العالمية . . وهى حل الصراع العربى ـ الإسرائيلى غير القابل للحل . . وقد أصبح الوقت مناسباً لذلك . . كان العرب منقسمين ومشوشين من مغامرة صدام حسين . . والأهم من ذلك أنهم لم يعد لديهم دعم الاتحاد السوفيتى فى رفضهم العنيد لإسرائيل الذى دام أربعين سنة . . وآمن بوش بأنهم يمكن إقناعهم بإحلال السلام . . إذا وافقت إسرائيل على تلطيف الاتفاق بإعادة المناطق المحتلة المتنازع عليها التى استولت عليها حرب الأيام الستة فى يونيو١٩٦٧م .

ولسوء الحظ كانت إسرائيل لا تتصرف بحسب الخطة الموضوعة . . وأزعج الرئيس كثيرا أن رئيس الوزراء إسحق شامير رفض حتى مناقشة مقايضة الأرض بالسلام . . وكان شامير المتشدد طول حياته . . ينفق آنذاك كل بنس ممكن من ميزانيته المشدودة الحزام لتوطين المواطنين الإسرائيليين فى المناطق المتنازع عليها .

ولكن فى خريف عام ١٩٩١م . . اعتقد بوش أن لديه شيئا ما يرغب فيه شامير أكثر من الأرض ، كانت إسرائيل مستغرقة فى فرار اللاجئين اليهود من فوضى الاتحاد السوفيتى . . ومع حلول عام ١٩٩٥م . . كان متوقعا أن يصل التدفق إلى مليون شخص . . خمس عدد السكان الكلى الصغير . . وكانت تكاليف توطينهم خلال العقد التالى مقدرة بمبلغ ٧٠ مليار دولا . . ضعف الناتج القومى الإسرائيلى القومى العالم . . وهكذا لم تكن إسرائيل فى ذلك الوقت . . فى موضع يسمح لها بمناقشة شروط بوش من أجل ضمانات القرض .

إذا فقد كان مؤتمر بوش الصحفى يوم ١٢ من سبتمبر . . بالنسبة لغالبية اليهود . . كومضة مبهرة فى الليل لن تنطفئ . . وحتى غالبة اليهود الأمريكيين المستوعبين . . وأولئك الذين لا

يحضرون إلى الكنيست . . وأولئك الذين تزوجوا بمسيحيين ويربون أولادهم كمسيحيين . . حتى هؤلاء على العموم . . كانوا يتراجعون غريزيا أمام عبارات مثل (القوى السياسية الفعالة) فى المواعظ والخطب .

وكانت النتيجة غضبا . . واليهود لم يصوتوا مطلقاً للجمهوريين ـ الأكثرية ـ ذكروا بعضهم بعضا بسبب ذلك . . كان اليهود الذين تحولوا إلى قائمة الجمهوريين خلال سنوات نيكسون وريجان قد قرروا فجأة إعادة التحول . . وأكثر من كل ذلك . . بدأ يهود من كل خط سياسى . . بكتابة رسائل احتجاج إلى صحفهم . . وإلى ممثليهم . . وإلى البيت الأبيض .

وقالت جاكلين ليفين : إن ١٢ من سبتمبر سوف يسمى فى التاريخ اليهودى يوم الخيانة الكبرى . . إن بيان بوش كان إظهارا مثيرا للاشمئزاز . . وإذا لم يكن غرضه معاداة السامية . . فهو قريب جدا من ذلك .

وقال إد ايمز . . وهو مغن من لوس أنجلس (لقد فتح ابن الحرام ذاك عينى) ولم يكن إيمز قد انضم مطلقا إلى منظمة يهودية من قبل . . وفى سبتمبر ١٩٩١م . . أرسل بالبريد أول دفعة مستحقة عليه إلى الايباك . . وأصبح عنصر ضغط متطوعا من أجل إسرائيل .

وراقب مساعدو البيت الأبيض ذلك النمو السريع برعب . . وكررت شوشانا كادرين (رئيسة مؤتمر رؤساء المنظمات الأمريكية اليهودية الكبرى) ومؤتمر الرؤساء الرسالة نفسها لهم : وافقوا على ضمانات القرض إذا أردتم معالجة الأمور . . ورفض بوش . لقد كانت ضمانات القرض مرتبطة بإحكام مع عملية السلام . . ومع سياسة إسحق شامير المتعلقة بتوطين الإسرائيليين فى المناطق المتنازع عليها .

خلال إدارة بوش كانت ردود الفعل على الانفجار مختلطة . . فبعض الرسميين . . بمن فيهم بوش نفسه . . كانوا قلقين ومهتمين بإيجاد طريقة للقيام بإصلاح . . ومادام ذلك لا يضعف عملية السلام فى الشرق الأوسط . . ولأنه لدغ من الاتهامات بمعاداة السامية . . فقد أسرع بوش خلال رحلة جمع الموارد المالية فى نوفمبر إلى نيويورك . . للاجتماع أخيرا مع مؤتمر الرؤساء وإقامة السلام . . ووضعت خطط لسلسلة من الإيماءات المؤيدة لليهود . . والتى ستتكشف بسرعة عن نتائج دراماتيكية . . وتاريخية تقريبا .

ففى ديسمبر كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة ستجتمع لإلغاء قرارها لعام ١٩٧٥م . . الذى يعادل الصهيونية بالتمييز العنصرى . . والذى توج صراعا دام عقدين مع أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس .

فى ٥ نوفمبر ١٩٩١م . . بعد سبعة أسابيع من مؤتمر بوش الصحفى المشئوم . . انطلقت أمريكا إلى صناديق الاقتراع لانتخاب فرعى سيحمل بعض المفاجآت . . كان السباق المثير للاهتمام صراعا مضمون الفوز فى بنسلفانيا . . حيث كان مقعد فى مجلس الشيوخ قد شغر منذ الربيع الفائت بالوفاة العرضية لجون هاينتس . . الشاب الجذاب الجمهورى المعتدل . . وكان المرشح الجمهورى الحاكم السابق المحبوب رتشارد ثورنبيرج . . وهو معتدل وأحد أقرب المناصرين للرئيس بوش . . وكان ثورنبيرج النائب العام لدى بوش قبل استقالته فى يونيو كى يخوض الانتخابات من أجل المقعد . . وكان خصمه الديمقراطى هاريس ووفورد أستاذا جامعيا مغمورا . . وكان ثورنبيرج متقدما بأربع وأربعين نقطة فى مجموع الأصوات .

وفى ٢٧ سبتمبر نشرت صحيفة philadelphia inquirer النتائج المذهلة لاستفتاء جديد على امتداد الولاية . . لقد تراجع ثورنبيرج فجأة إلى أربع وعشرين نقطة . . وكان مستمرا فى الهبوط . . وبشكل لا يصدق . . كان السباق الآن لصالح ووفورد .

على أى حال . . يقول المطلعون فى كلتا الحملتين . . إنه كان ثمة سبب إضافى أكثر دنيوية للهزيمة غير المتوقعة . . وهو النقود . . فخلال أسبوع بعد مؤتمر ١٢ من سبتمبر الصحفى للرئيس بوش . . بدأ جامعو الموارد المالية الجمهوريون والديمقراطيون على حد سواء بملاحظة تغيير واضح فى التبرعات بعيدا عن ثورنبيرج وباتجاه ووفورد . . وكانت تصنيفات لجنة الانتخابات الفيدرالية أكثر دقة . . فبينما أظهر تصنيف ثورنبيرج فى ١٦ من أكتوبر أن جمع الموارد المالية . . حتى السنة الحالية كان ضعفى ما لدى ووفورد . . عكس الديمقراطيون الاتجاه فى الأسابيع الأخيرة للحملة وجمعوا نقودا بقدر ضعفى نسبة تقدم ثورنبيرج .

كان الواهبون ذوو الألقاب اليهودية الذين جمعوا حوالى ١٠ بالمائة من تصنيف ثورنبيرج فى ١٦ أكتوبر . . غائبين كليا تقريبا من تقريره النهائى .

وبالتأكيد لم يقدم اندفاع الأموال الجديد إلى ووفورد أى رسالة جديدة . . ولكن للمرة الأولى . . كانت لدى ووفورد وسيلة كى يدلى بقصته إلى الناخبين . . وما حدث أنه على امتداد البلاد . . كان اليهود الحانقون (وبعض المسيحيين المتعاطفين مع إسرائيل) يصبون غضبهم من جورج بوش . . على صديقه رتشارد ثورنبيرج . . وكان المستفيد غير المقصود هو البروفيسور الذى سيصبح قريباً عضو مجلس الشيوخ هاريس ووفورد .

بعد خسارة الانتخابات بوقت قصير . . ذهب ثورنبيرج المترنح لمقابلة صديقه فى البيت الأبيض ومناقشة ما يعتبره ربما نزعة جديدة مع دخول البلاد سنة انتخابية جديدة . . وقد قال فيما بعد : (قلت للرئيس إنه حيث نشأت فى مناطق فحم بنسلفانيا . . اعتاد عمال المناجم على وضع طائر كنارى فى قفص عند فتحة مدخل المنجم . . وإذا كان هناك رشح لغاز الميتان فى المدخل . . فسيكون الكنارى أول من يموت . . وكان ذلك إنذارا لك بوجود مشاكل قادمة . . وأخبرته سيدى الرئيس إننى مثل كنارى . . لديك رشح . . وإذا لم تفعل شيئا حيال ذلك فسوف ينال منك أيضا .

طبعا . . سار ثورنبيرج بالإشارة إلى الدعم اليهودى الذى كان باديا فى حملة إعادة انتخابات بوش خلال ذلك الخريف من عام ١٩٩١م . . كانت البلاد قد ملت من حكم الجمهوريين بعد إحدى عشرة سنة متواصلة .

كلا لم يكن المجتمع اليهودى الذى يؤلف ٤,٧٪ من سكان بنسلفانيا . . هو القوة السياسية المسيطرة فى الولاية خلال ذلك الخريف . . بل كان واحدا من عدة قوى .

لكن اليهود كانوا قوة سياسية فعالة بصورة لا تقبل الجدل . . ولم يكن جورج بوش مخطئا فى إيمانه بذلك حين عقد مؤتمره الصحفى يوم ١٢سبتمبر . . كان خطيئة بوش أنه قال ذلك بصوت عال .

٩-عهد كلينتون

السنوات الثمانى التى قضاها فى البيت الأبيض . . ولا أذهب بعيدا إذا قلت أنه منذ عهد ترومان وتعهده بحماية إسرائيل ودعمها اقتصاديا وعسكريا واستراتيجيا . . لم تقدم الإدارات الأمريكية المتعاقبة مثل ما قدمته إدارة كلينتون .

وجدير بالملاحظة أن الإدارات السابقة . . كانت تدعم الكيان الصهيونى محتجة باضطرارها لاحتواء نفوذ الاتحاد السوفيتى . . الذى بدأ يجد لها موطأ قدم فى الدول العربية لم يحظ الكيان الصهيونى برعاية أكثر عطاء وحنانا من إدارة كلينتون طوال السنوات . . ولتحجيم الراديكالية العربية الآخذة فى الاتساع آنذاك . . ومنعها من السيطرة على البترول العربى الذى يعد المصدر الحيوى الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية . . لكن كلينتون دخل البيت الأبيض فى يناير ١٩٩٣م . . ولم يعد ثمة اتحاد سوفيتى . . ولا راديكالية عربية . . وما يسمى بالأصولية الإسلامية التى ابتدعوا منها تهديدا جديدا لمصالح الغرب فى الشرق الأوسط . . ليست سوى جماعات متفرقة صغيرة لا تملك من أمرها شيئا . . والأنظمة المحلية كفيلة بإبقائها فى حالتها الراهنة . . بعبارة أخرى ليس ثمة خوف على مصالح الولايات المتحدة من شىء . . ومع ذلك فقد تجاوزت إدارة كلينتون كل الخطوط . . وألقت بنفسها بلا استحياء فى أحضان الكيان الصهيونى . . حتى إنها تحللت من بعض التحفظات التى التزمتها إدارة بوش الأب . . بعد صيغة مدريد التى أسست على أن الأرض مقابل السلام . . انسحاب من الأرض المحتلة سنة١٩٦٧م . . مقابل سلام من العرب .

بوش الأب الذى أطلقت فى عهده هذه الصيغة . . اشترط على إسرائيل عند منحها ضمانات قروض بعشرة بلايين دولار لتموين استيعاب المهاجرين . . ألا تستعمل خارج نطاق حدود ١٩٦٧م . . وهددت إدارته بخصم أى مبلغ يتجاوز هذا الشرط من الضمانات . . لكن لما جاءت إدارة كلينتون تحللت من ذلك كله .

وحشدت إدارة كلينتون أكبر عدد من اليهود فى مراكز حساسة فى مجلس الأمن القومى والاستخبارات ووزارة الخارجية والدفاع . . والعجب أن يتم منح أحدهم الجنسية الأمريكية وبعد ٤٨ ساعة فقط يعين فى مجلس الأمن القومى . . ثم يصبح سفيرا للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل . . مع اتهامه بتسريب معلومات سرية تتعلق بمفاوضات سرية عن لقاءات أمريكية مع بعض القادة العرب !!! .

كما جاهدت إدارة كلينتون من أجل أن يحصل الكيان الصهيونى على علاقات مع ستين دولة كانت قد قاطعته حتى يمنح الفلسطينيين حقوقهم كاملة . . وقد استغلت الإدارة

مفاوضات السلام التى سميت انقلاب أوسلو . . كورقة ضغط على تلك الدول . . تلك المفاوضات التى تبين بعد ذلك أن الكيان الصهيونى لم يدخلها إلا بنية استغلالها بمكر وخبث أطول وقت ممكن وقد فعل .

كما لم يتردد سفير أمريكا فى الأمم المتحدة (ريتشارد هولبرك) فى الإعلان عن عزمه الضغط على دول المجموعة الأوربية لكى تضم الكيان الصهيونى مما يمكنه من فرص الحصول على مناصب مهمة فى الأمم المتحدة ووكالاتها حتى الحصول على مقعد غير دائم فى مجلس الأمم رغم أنه دولة احتلال فى قرارات الأمم المتحدة .

وأوفدت إدارة كلينتون أحد وزرائها لجامعة الدول العربية للمطالبة رسميا بإلغاء المقاطعة الاقتصادية العربية . . مع أن المفاوضات لم تنته بعد ولم تسفر عن حصول الفلسطينيين على أى حق من حقوقهم . . وسارعت إدارته بمطالبة الحكومة المصرية بإرجاع سفيرها إلى الكيان الصهيونى لما سحبته مصر احتجاجا على القمع البشع والوحشى الذى يفعله الجنود اليهود فى الأطفال الفلسطينيين . . وبلغت المعونات العسكرية الأمريكية للكيان الصهيونى مستويات غير مسبوقة رغم إعلان الدول العربية ـ وللأسف ـ أن السلام خيار استراتيجى مع الكيان الصهيونى المتفوق نوويا وعسكريا على كل الدول العربية مجتمعة .

وفى بحثه الذى قدمه (بول فندلى) للحملة الدولية من أجل القدس . . فى ١٥فبراير ١٩٩٦م . . فى ندوة بعنوان (وضع نهائى أم لعبة نهائية ؟ المباحثات القادمة بشأن القدس . فقد ذكر حقائق تعد وثيقة مهمة تبين أثر يهود أمريكا على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما السياسة الخارجية . . خاصة وهو يتحدث فى حقبة الرئيس كلينتون . . قال بول فندلى :

" لماذا إذن تلعب القوة العظمى الوحيدة فى العالم . . والتى تتغنى فى أقوالها الرسمية بالمدح والثناء على الأمور المتعلقة بحكم القانون الدولى . . تلعب دور الأسد الجبان فيما يخص قضية القدس السبب واضح . . وهو : إن ما يحرك سياسة أمريكا فى هذه المسألة هو العوامل الداخلية . . وليست العوامل الخارجية . . فالسيطرة المحكمة وإن كانت تجرى فى هدوء هى فى أيدى قوة ضغط محلية حسنة التنظيم والتمويل . . ملتزمة التزاماً عاطفياً نحو إسرائيل . . وهكذا

فإن أعضاء الكونجرس وكل الشخصيات الرئيسية فى الأجهزة التنفيذية يقفزون طوعا . . تماما كما تقفز كلاب البودل الذكية المدربة . . داخل أى طوق يقدمه إليهم أنصار إسرائيل المتعصبون" .

كثير من الأمريكيين يعانون من رؤية الإنفاق غير الواضحة التى تحجب الجانب غير المرغوب من الشارع الإسرائيلى . . وكأنه أمر عديم القيمة . . وفى كثير من الأحيان يكون ذلك ناتجا عن التعصب الدينى للمسيحيين الأصوليين فى أمريكا البالغ عددهم حوالى أربعين مليوناً . . والذين يعتقدون بأن إسرائيل تحتل دوراً مهماً فى الخطة الإلهية . . وحيث إنهم مقتنعون أن إسرائيل هى الوريث الشرعى للأرض التى أعطيت للإسرائيليين فى العصور القديمة . . فإنهم يطلبون إلى الولايات المتحدة أن تبقى إسرائيل قوية حتى يحين موعد المعركة التى طال انتظارها فى سهل هرمجدون . . حيث سيتم خلاص المسيحيين الأصوليين . . كما يعتقدون . . ثم يتحول جميع من يتبقى من اليهود حالا إلى اعتناق النصرانية أو يهلكون . . إن هذه الكتلة من الرأى الأمريكى فى خارج نطاق المنطق أو العقل حينما يصل الأمر إلى بحث موضوع إسرائيل والقدس . . فعقولهم كما يظهر تكون مقفلة تماما بالنسبة لهذه القضية .

أما التيار العام من المسيحيين فيتم التأثير فيه بطريقة أكثر فعالية فالتراتيل التى يغنونها والآيات التى يتلونها من الإنجيل تكون عادة مليئة بالتمجيد لإسرائيل والقدس . . وتربط من غير وعى بين الاثنين فى عقول الناس . . أما فى المنازل فإنهم يتعرضون لوجبة إعلامية مبرمجة بغرض جعل الفكرة التى عفى عليها الزمن أبدية . . وهى أن اليهود شعب مضطهد . . ولكنها لا تصور اليهود فقط كشعب يمارس الاضطهاد على الآخرين .

وبصرف النظر عن المسيحيين الأصوليين . . فإن القوى المؤيدة لإسرائيل فى الولايات المتحدة هى قليلة العدد نسبيا . . ولكنهم يتمتعون بنفوذ يتغلغل عمقا واتساعا . . وكما هو الحال بالنسبة لأتباع الديانات الأخرى . . فإن اليهود الأمريكيين يميلون إلى الجانب الدفاعى بشأن ديانتهم وأماكنهم المقدسة . . كما أن كثيراً منهم يعتقدون أن امتلاكهم للقدس وغيرها من مناطق فلسطين هو حقهم الإلهى المقدس . . وفى الحقيقة فإن عدداً من الأصدقاء اليهود قد

أوضحوا أن الصهيونية متمثلة فى إسرائيل كدولة . . وليست اليهودية . . قد أصبحت دين غالبية يهود أمريكا وبخاصة اليهود العلمانيين .

عبر وسائل الضغط ذات الكفاءة العالية . . يبقى يهود أمريكا مسيطرين سيطرة محكمة على الكونجرس وعلى الأجهزة التنفيذية وغيرهما من الجهات الحكومية . . فهم يمارسون تأثيرا يتسم بالتخويف والمراقبة الحثيثة فى جميع قطاعات الإعلام تقريباً . . وفى كثير من المجالات الأخرى التى تتعلق بالمجتمع كله على الصعيد الأمثل .

وكما أوضح الراحل جورج بول نائب وزير الخارجية الأسبق فى ملاحظته له قائلا : إن أقوى أدوات التخويف التى يستخدمها اللوبى الإسرائيلى هى التهمة الطائشة بمعاداة السامية .

إن العوامل التى رسمنا ملامحها ستساعد على تفسير الحقائق المحزنة التالية :

١ ـ قلة من الأمريكيين يعترفون بالحقيقة الموثقة توثيقاً كاملاً وهى أن إسرائيل من بين أسوأ منتهكى القانون على المسرح الدولى .

٢ ـ قلة من الأمريكيين هم الذين يعترفون بمسئولية حكومتهم عن الانتهاكات الإسرائيلية .

٣ ـ يتقبل الشعب الأمريكى كحقيقة مسلم بها مع همهمة نادرة الحدوث تدل على عدم الموافقة . . المقولة الخرافية بأن إسرائيل مخولة ولها الحق فى أن تكون القدس بكاملها عاصمة لها .

وبموجب الشروط الواردة فى قرار الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم بليونى دولار سنويا كضمانات قروض . . وافقت إسرائيل على عدم استخدام أى من هذه الأموال فى بناء مستوطنات يهودية فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس . . وقد اشترط التشريع الخاص بذلك أنه فى حال حدوث انتهاك للاتفاق فإن القروض ستحسم بمعدل دولار مقابل دولار لإخلالها بهذا الشرط . . وبدلا من توبيخ إسرائيل ومعاقبتها . . قام كلينتون فعليا بالتخلى عن القانون . . وذلك بتسليمه إسرائيل شيكا بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار كمساعدات . . تعويضا عن التخفيض فى قيمة القرض . . ومع ذلك لم يثر هذا التنذل الرئاسى للدولة الخارجة عن القانون أى احتجاج من الكونجرس بل مر مرور الكرام . . كما أنه لم يحظ إلا بتغطية إعلامية ضئيلة .

وقال بول فندلى أيضا عن قرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى عهد كلينتون . . قال : لم ترتفع سوى احتجاجات واهية عندما صوت أعضاء الكونجرس بالإجماع تقريبا فى أول أكتوبر لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى مدة لا تتعدى عام ١٩٩٩م . . وصل مشروع نقل السفارة إلى مجلس النواب تحت ظروف استثنائية . . لم يناقش المشروع ضمن اللجنة المختصة . . بل لم ينظر فى أمر عرضه للنقاش . . لقد أوقف العمل بجميع القواعد المتبعة فى المجلس . . وفى مخالفة لاتفاقية معمول بها منذ مدة طويلة . . لم تستشر الأقلية التى عارضت المشروع عندما حددت زعامة المجلس مدة أربعين دقيقة . . واستبعدت إمكانية إجراء أى تعديلات عليه . . لماذا تلك العجلة ؟ ببساطة كان ذلك حالة من التذلل الفاضح أمام المصالح الداخلية فى تأييد إسرائيل . . وحسبما جاء فى تفسير عضو الكونجرس هاملتون ـ وهو أحد أكثر أعضاء المجلس تفكيراً واطلاعاً ـ فإن الأعضاء الرئيسيين الذين تبنوا المـ ـروع يريدون ببساطة أن يقدموه لرئيس وزراء إسرائيل وعمدة القدس عندما يحضرون الاحتفال الذى سيقام لهما فى اليوم التالى تحت قبة مجلس الكونجرس .

ولعل فى هذا كفاية . . وهذه المعلومات التى قدمها بول فندلى . . أدلة دامغة على مدى التأثير اليهودى فى الإدارة الأمريكية وأنه وصل إلى حد توجيه دفة السياسة الأمريكية إلى حيث توجد مصالح الكيان الصهيونى . . حتى لو كان ذلك على حساب المصالح القومية للولايات المتحدة الأمريكية .

●●

بعد هذه الجولة فى تاريخ يهود أمريكا ودورهم فى تأييد الكيان الصهيونى ومدى تأثيرهم على رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الإدارة الأمريكية . . وأهم منظماتهم النشطة فى أمريكا . . نستخلص أن الضغط الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية يرجع إلى الستة ملايين يهودى الذين يشغلون مناصب مهمة فى مؤسسات المال والأعمال والإعلام والبنتاجون ووزارة الخارجية والكونجرس . . وهى جالية قليلة العدد . . لكنها جيدة التنظيم . . مثقفة فى مجال السياسة الخارجية . . وثرية .

كما يرجع إلى أن الرأى العام الأمريكى بنفسه قد تشبع باعتقادات مردها إلى العقيدة البروتستانتية والتى تملى عليه الإيمان بضرورة حماية الكيان الصهيونى لأن ذلك علامة على قرب ظهور المسيح عليه السلام .

وإلى أن يهود أمريكا استطاعوا ربط مصير الكيان الصهيونى بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية . . وذلك بوضع الكيان الصهيونى فى موضع الدفاع عن مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط . . والوقوف فى وجه الخطر الإسلامى الأصولى .

وبهذا الولاء الحميم بين اليهود والصليبيين . . تتحد مواقف الولايات المتحدة الأمريكية مع الكيان الصهيونى ضد مصالح الأمة الإسلامية . . وبه تنتهك حرماتها وكرامتها . . وتستباح دماء أبنائها . . وتغتصب أرضها . .وتسلب حقوقها . . وصدق الله العظيم إذ قال فى كتابه الكريم : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ «المائدة ٨٢» .

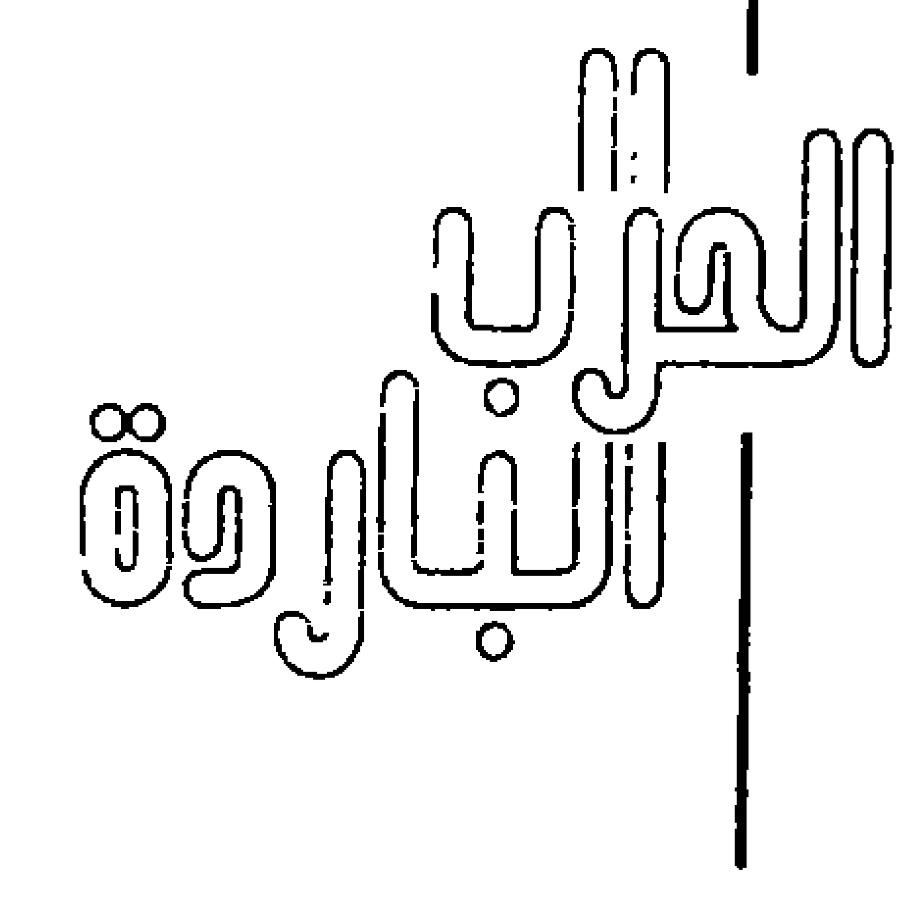
كما قال عز من قائل : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** «المائدة ٥١ ، ٥٢» .

■ ■ ■

3

وقائع تشكيل خريطة العالم الثقافية أثناء حقبة الحرب الباردة

□□



لعل أبرز جوانب الحرب الباردة بين الشيوعية والغرب يتمثل فى جوانبها الثقافية والفنية . . وهو الدور الذى لعبته وأدارته ببراعة المخابرات المركزية الأمريكية الـ (C.I.A) وما نتج عنه من إعادة صياغة الحياة الثقافية والفنية فى الغرب . . وتوجهها . . واستخدام كل ما يحيط بتلك الجوانب من أدوات . . ومعطيات فى صراعها مع الاتحاد السوفيتى . . وهناك أهمية خاصة فى ضوء ما يصفه البعض بالمواجهة الجديدة المتوقعة بين أمريكا والغرب من ناحية والإسلام من ناحية أخرى . . أو بينها وبين الحركات الإسلامية حسب تعبير الإدارة الأمريكية .

فعندما بدأت الحرب الباردة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية . . أطلقت الولايات المتحدة مشروع مارشال القائم على تقديم مساعدات اقتصادية للدول الأوروبية لئلا تسقط فى يد الأحزاب الشيوعية . . ثم أعلن الرئيس الأمريكى ترومان عام ١٩٤٩ برنامج النقطة الرابعة القائم على كسب الشعوب بالإصلاح الاقتصادى . . وتقوية الأمم المعادية للشيوعية . . وتقديم المعونات للدول . . وهنا لابد أن نتوقف قليلاً لنتعرف عن قرب على من هو هارى ترومان ذلك الرئيس الأمريكى . . ومدى أهميته بما ستخذه من قرارات فى تغيير مسار التاريخ خلال هذه الحقبة المسماة بالحرب الباردة . .

هارى ترومان

بدايةً نقول أن التاريخ يذكر لهارى ترومان أنه فى عهده عرفت البشرية أقسى مآسيها . . وعرف الإنسان إسقاط أول قنبلة ذرية حصدت أرواح آلاف من البشر وما زالت إشعاعاتها تؤثر سلبا على الإنسان والبيئة . . ولد ترومان فى الثامن من مايو ١٨٨٤ وفى فترة شبابه . . وبعد بدء

اشتغاله بالسياسة أصبح عضواً فى الحزب الديمقراطى الأمريكى . . وكان فى هذا التوقيت يعمل ضابطاً فى المدفعية . . وبعد فترة انتخب عضواً فى مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤ . . ثم رأس الولايات المتحدة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣ لفترتين متتاليتين . . ليصبح الرئيس الـ ٣٤ لأمريكا . . وبعد ٢٠ سنة من خروجه من البيت الأبيض توفى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٢ .

أزمات ترومان

١ ـ ضرب اليابان بالقنبلة الذرية فمات فى لحظة ما لا يقل عن ١٧٠ ألف نسمة . . وأصبحت أرواح الآلاف معرضة للموت البطىء بسبب التأثيرات الإشعاعية على سكان مدينتى هيروشيما وناجازاكى يومى ٦ و٩ أغسطس ١٩٤٥ وانتهت بذلك الحرب العالمية الثانية . . لتبدأ سنوات . . الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى .

٢ ـ أقنع حكومة ما بعد الحرب العالمية وسقوط هتلر فى ألمانيا ببناء حائط برلين . . الذى تم الانتهاء من بنائه يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٨ واستمر قائماً لمدة ٥١ عاما إذ لم يهدم إلا يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٩ .

٣ ـ دعم عبر اندلاع الحرب الكورية التى بدأت فى يونيو ١٩٥٠ وانتهت فى يوليو ١٩٥٣ . . والتى حصدت فيها أرواح ما يناهز أربعة ملايين شخص ثلاثة أرباعهم من الكوريين .

٤ ـ قامت فى عهد ترومان دولة إسرائيل وقد اعترف بها بعد إعلانها بعشر دقائق يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ وكان ميالا ـ حسب نصوص المؤرخين ـ إلى إنشاء دولة خاصة باليهود . . كما كان صديقا حميماً لأول رئيس إسرائيلى (حاييم وايزمان) . وبلغ نفوذ اللوبى اليهودى فى عهده مبلغا كبيراً .

مكارثى

ونعود لتلك اللجنة التى ترأسها " مكارثى " والتى كانت تلاحق الكتب والكتاب والمثقفين وتأخذهم بالشبهة أو لمجرد رأى سياسى أو موقف فكرى . . فالكاتب الشهير توماس مان الحائز على جائزة نوبل تعرض لاضطهاد وتجاهل لأنه كما وصفه المكارثيون متساهل مع الشيوعية .

وتولت المخابرات المركزية الـ (C.I.A) تكوين واجهة ثقافية تحارب الشيوعية بالوسائل الثقافية

واستخدمت فى ذلك المنشقين عن الشيوعية والمراكز الثقافية وأفلام السينما والمحاضرات والموسيقى وترويج الذوق الأمريكى فى الطعام واللباس والغناء والفن . . وأنشئت عام ١٩٥٠ منظمة كونجرس الحرية الثقافية التى تحولت عام ١٩٦٧ إلى "الاتحاد الدولى للحرية الثقافية" وأنشأت هذه المنظمة فروعاً لها فى ٣٥ دولة . . وأصدرت أكثر من ٢٠ مجلة ذات تأثير كبير . . وكان يكتب فى هذه المجلات شخصيات فكرية مشهورة مثل المؤرخ أرنولد توينبى والفيلسوف برتراند راسل « بوهربرت سبنسر » .

وكانت منظمة الحرية الثقافية وراء عدم فوز شاعر تشيلى بابلو نيرودا بجائزة نوبل عام ١٩٦٤ ولم يفز بها إلا عام ١٩٧١ عندما كان سفيراً فى فرنسا لحكومة الليندى وهو شاعر تشيلى اسمه الحقيقى نفتالى ريكاردو رييز . . ولد فى الثانى عشر من شهر يوليو عام 1904فى قرية بارال بوسط شيلى . . وكانت والدته روزا نفتالى تعمل بمهنة التدريس أما والده جوزيه ديل كارمن فكان عاملا فى سكك الحديد . . وتوفى نيرودا فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٣ فى سانتياجو . . بعد أن حصل على جائزة نوبل فى الآداب لسنة ١٩٧١ . كتب بابلو نيرودا قصائد عندما كان فى العشرين من العمر قُدر لها أن تنتشر أولا فى أنحاء تشيلى ولتنتقل بعدها إلى جميع أرجاء العالم لتجعل منه الشاعر الأكثر شهرة فى القرن العشرين من أمريكا اللاتينية . . من أشهر مجاميعه عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة التى ترجمت أكثر من مرة إلى اللغة العربية . . كتب سيرته الذاتية بعنوان " أشهد أننى قد عشت" وترجمت إلى العربية منذ السبعينيات من القرن الماضى . . وعندما أطاح الجنرال بينوشيه بالحكومة الاشتراكية المنتخبة ديمقراطياً فى تشيلى عقب قيامه بانقلاب عسكرى أطاح بحكمه وقتلوا الرئيس سلفادور أليندى سلفادور S.lv.dor Is.belino Allende Gossens الذى شغل منصب رئيس جمهورية تشيلى منذ ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ . . . وتوفى فى القصر الرئاسى فى سانتياجو فى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ هجم الجنود على بيت الشاعر وعندما سألهم ماذا يريدون أجابوه بأنهم يبحثون عن السلاح فأجابهم الشاعر أن الشعر هو سلاحه الوحيد . لم يعمر طويلا بعد الانقلاب العسكر . . ثم قتلته المخابرات الأمريكية عام ١٩٧٣ . . وكانت وراء إخضاع أرنست همنجواى للمتابعة والتحقيق حتى أصيب بالاكتئاب وانتحر .

بابلو نيرودا سلفادور إيزابيلينو

الروس واستخدام الثقافة

وحاول الروس كثيراً استخدام الثقافة وسيلة للإقناع السياسى . . وكانت المخابرات الأمريكية تدرك التفوق الثقافى الروسى . . وترى أن الحرب الباردة هى أساساً صراع نفسى ثقافى بالدرجة الأولى . . يعتمد على الوسائل السلمية واستخدام الدعاية لإضعاف المواقف المعادية . . وهكذا بدأت الحرب الثقافية .

وشمل هذا البرنامج كتب الأطفال . . وحشد مكتب "الخدمات الإستراتيجية" فيلقاً من النخب السياسية والفكرية وأبناء الأرستقراطية الأوروبية والأمريكية مثل بول ميلون وأخته إليسا وزوجها ديفد بروس رئيس مكتب الخدمات الإستراتيجية فى لندن . . ووالده كان مليونيرا وعضوا فى البرلمان الأمريكى . . والناشر أيوجين فورد . . والصحفى مارسيللو ميورسى الذى عمل أيضا فى الإخراج السينمائى ولمعت فى أفلامه صوفيا لورين . . ودايليا تولستوى حفيد مهاجر للروائى الروسى الشهير . . وكذلك الروائى الأمريكى "أرنست همنجواى" . . والفيلسوف سيدنى هوك (شيوعى سابق) الأستاذ بجامعة نيويورك . . والكاتبة مارى مكارثى . . والصحفى بادون برودووتر . . والروائية إليزابيث هاردويك وزوجها الشاعر روبرت لويل . . وسلسلة طويلة لا تكاد تنتهى من الروائيين والفلاسفة والمفكرين والصحفيين والمخرجين والموسيقيين .

وفى هذا التوقيت كانت هناك صراعات خفية تمتد فى كل مكان مثل منع نشر رواية سبارتاكوس للكاتب الأمريكى "هوارد فاست" Ho.rd F.st الذى كان شيوعياً فترك الشيوعية وكتب فى نقدها كتاباً أسماه N.ked God أو المعبود العريان . . ذكر فيه أن ستالين لم يكن فرداً يحكم روسيا فحسب لكنه كان ظاهرة عالمية فى الأحزاب الشيوعية كلها بما ذلك الحزب الشيوعى الأمريكى . . وذكر أمثلة غريبة للطريقة المستبدة المذلة التى كان رئيس الحزب الأمريكى يعامل بها الأعضاء بمن فيهم "فاست" نفسه . . وعندما أبلغت مؤسسة ليتل براون بعدم النشر أعارت المخطوطة للمؤلف . . ثم رفضتها سبع دور نشر أخرى . . وبعض الناشرين رفضوها دون أن يطلعوا عليها . . ثم نشرها المؤلف بنفسه بعد سنوات .

بريطانيا تشارك

وعندما دخلت الحكومة البريطانية فى الحرب الثقافية كونت لذلك الغرض إدارة سميت (إدارة البحوث الدولية IRD) وألحقت بوزارة الخارجية وكانت فكرتها قائمة ـ كما أوضح مؤسس المشروع أرنست بيفن ، وزير الخارجية البريطانى حينذاك ـ بأنها القضاء على الشيوعية بدحضها باستخدام الميل الإيجابى للديمقراطية والمسيحية "وألا ننسى أن قوة المشاعر المسيحية فى أوروبا لا بد أن تقدم أيديولوجية مناقضة للشيوعية" . . وكانت هذه الإدارة تعد تقارير عن جميع الموضوعات لتوزيعها على أعضاء أجهزة المخابرات البريطانية الذين يعيدون استخدامها فى عملهم .

كان ثمة حرص على عدم الربط علنا ورسميا بين هذه الإدارة وعمل أجهزة المخابرات والإدارة الرسمية . . وكان من أهم العاملين فيها الشيوعيون السابقون مثل تويستلر . . وكان من أهم برامجها احتواء الحركات اليسارية التقدمية لمراقبة أنشطتها وإضعاف أثرها والسيطرة عليها من الداخل واستدراج أعضائها إلى مواقف أقل ثورية .

وتويستلر كان شيوعياً مجرياً وأقام فى روسيا مدة من الزمن ثم لجأ إلى فرنسا عام ١٩٣٦ هرباً من النازية (يبدو أنه يهودى) واستقال عام ١٩٣٨ من الحزب الشيوعى . . ولجأ إلى بريطانيا ليعمل فى وزارة الإعلام فى الدعاية المضادة للنازية .

لم يكن الكثير من الكتاب والمثقفين يعلمون أنهم يشاركون فى مشروعات وأعمال تمولها المخابرات الأمريكية . . وبعضهم عندما اكتشف ذلك بعد سنوات طويلة اعتزل عمله .

تمويلات ضخمة

وعلى مدار السنوات الأولى للحرب الباردة ضخت المخابرات الأمريكية عشرات الملايين من الدولارات على مدى سنوات لمنظمة الحرية الثقافية . . وأنشأت أيضا منظمة أوروبا الحرة التى كانت تدير إذاعة أوروبا الحرة ومقرها برلين وكانت موجهة إلى دول أوروبا الشرقية وتبث برامجها بست عشرة لغة . . وكانت تتصل بالعاملين فى الخدمات الإعلامية خلف "الستار الحديدى" وترصد الإذاعات الشيوعية وتبث المحاضرات والكتابات المعادية للشيوعية .

وكانت المنظمة تتلقى تمويلاً كبيراً يمرر تحت غطاء منظمة "حملة الحرية" التى كانت تجمع التبرعات . . وكان المتحدث باسم هذه الحملة الممثل "رونالد ريجان" (رئيس أمريكا فيما بعد) وكانت هذه الحملة لافتة لتمرير الأموال وغسلها .

وعبئت مؤسسات تظهر خضوعاً خاصاً مثل مؤسستى فورد وروكفلر فى الحرب السياسية على الشيوعية . . وقدمت هذه المؤسسات منحاً مالية كبيرة لأنشطة ترعاها وتنسقها المخابرات الأمريكية مثل شراء كتب وأعمال روسية ممنوعة وتمويل معهد الفن المعاصر والدعم المباشر لمنظمة الحرية الثقافية .

ونتوقف قليلاً عند كلٍ من مؤسستى " فورد وروكفلر" لنعرف عن قرب قيمة دوريهما فى الترويج للمصالح الأمريكية خلال سنوات الحرب الباردة . .

مؤسستا فورد وروكفلر ذراعا الغزو الثقافى لأمريكا

كان يرأس مؤسستى روكفلر وفورد ساسة وقادة كبار فى العمل السرى الأمريكى مثل جون فوستر دالاس . . ودين راسك . . وجون مالكوى . . وكان نيلسون وديفد روكفلر نفسهما ضالعين فى العمل الاستخبارى وتربطهما بدالاس علاقة شخصية وثيقة . . وكانا يزودان الوكالة بتمويل خارج الموازنة الرسمية . . وهذه الصفقات الحرة أعطت معنى جديداً للمغامرة الأمريكية فى أثناء سنوات الحرب الباردة .

وقد كشفت مجلة «نيويورك تايمز» عام ١٩٦٦ حقيقة أن « منظمة المؤتمر العالمى للحرية الثقافية» التى تمول المجلة ـ تتلقى المعونات والدعم من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . . من خلال واجهات خادعة . . كمؤسّسة فورد فاونديشن ومؤسّسة روكفلر للأبحاث .

وهى المنظمة التى كانت ـ رغم بريق اسمها ـ وراء عدم نيل شاعر تشيلى نيرودا جائزة نوبل عام ١٩٦٤ . . فلم يفز بها إلا بعدما أصبح سفيراً فى فرنسا لحكومة الليندى عام ١٩٧١ . . وقبل أن تقتله القوات الثورية فى بلاده بالتعاون مع المخابرات الأمريكية كما تحدثنا عن ذلك من قبل . . كما هى أيضا المنظمة التى كانت وراء إخضاع إرنست همنجواى للتحرى والتحقيق حتى أصابه الاكتئاب . . فانتحر بإطلاق الرصاص على رأسه .

وتعتبر مؤسّسة "فورد" . . هى أخطر مؤسسات التجسس العلمى الأمريكية . . فهى التى تقوم بتمويل "أبحاث ودراسات الشرق الأوسط . . ومن خلالها تقوم "وكالة التنمية الأمريكية" AID بتخصيص حوالى مائة مليون دولار سنوياً لمراكز البحث العلمى والجامعات فى الشرق الأوسط منذ نهاية السبعينيات إلى اليوم .

ويكفى للتدليل على دورها أن نقرأ للأمريكيين "بيتر جونسون" و"جوديت ناكر" كيف أن هذه المؤسسة قد تفاقم دورها فى السبعينيات . . عندما اهتمت بالتغيرات الاجتماعية والدينية والثقافية فى الشرق الأوسط على سبيل المثال . . بهدف دراسة مقومات هذه التغيرات والتنبؤ بها . . لمساعدة السياسة الأمريكية على التحكم فى مسار التغيير داخل هذه المجتمعات لخدمة مصالح الولايات المتحدة . . والقضاء أولاً بأول على العناصر التى تهدد السيطرة الأمريكية على المنطقة . . وتخضع المؤسسة للرقابة الأمريكية المباشرة من ناحية العاملين والمشاريع والناحية المالية .

صحافة الحرب الباردة

شغلت مجلة "إنكاونتر" Encounter التى صدرت بين عامى ١٩٥٣ و١٩٩٠ موضعاً مركزياً فى التاريخ الثقافى بشكل عام . . وخلال هذه الحقبة بشكلٍ خاص نشرت مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية لكتاب وباحثين كبار مثل أرنولد توينبى وبرتراند راسل . . وكانت مجلة واضحة الأيديولوجية وهى معاداة الشيوعية . . وكانت شديدة الارتباط بعالم المخابرات .

وكانت المخابرات البريطانية تدعم مجلة تريبيون وبدا للمخابرات البريطانية والأمريكية أن أفضل وسيلة للعمل الثقافى المضاد للشيوعية هو تشجيع خطاب يسارى متحرر من لغة الكرملين . . واختير شاب أمريكى يسارى هو إيرفنج كريستول ليحرر مجلة تخدم هذا الغرض وكان يعمل مديراً لمجلة كومنترى . . والبريطانى ستيفن سبندر وهو يسارى خريج أكسفورد . . وكانت مجلة "إنكاونتر" . . وانتهى الحال بكل الذين خدموا فى الحرب الثقافية فجأة بنهاية الثمانينيات للإحالة إلى أعمال مدنية بعيدة أو عزلة نائية وبعضهم تقاعد قبل ذلك وودعوا الخدمة بأوسمة ومكافآت مالية .

ومن المجلات الأخرى التى رعتها منظمة الحرية الثقافية مجلة "بريف" الفرنسية و"كوادرنوز" Cudernos لموجهة لمثقفى أمريكا اللاتينية التى صدرت من باريس عام ١٩٥٣ برئاسة تحرير الروائى والكاتب المسرحى جوليان جوركن . . ومجلة "فورم" Forum التى صدرت فى النمسا عام ١٩٥٤ ويحررها الناقد والروائى فريدريك تورييج . . ومجلة العلم والحرية التى صدرت عام ١٩٥٣ بعد مؤتمر العلم والحرية فى هامبورج وكان يحررها مايكل بولانى وكانت تشجع التهدئة فى العلاقات الدولية والتبادل الثقافى مع الكتلة السوفيتية . . ومجلة "سوفيات سيرفى" Soviet Survey التى صدرت عام ١٩٥٥ برئاسة تحرير المؤرخ وولتر لاكير ممثل منظمة الحرية الثقافية فى إسرائيل . . وقدمت المجلة أبحاثا مهمة عن الحياة الثقافية والفنية والسياسية فى الكتلة الشرقية وكانت بعض الصحف الشيوعية تنقل عنها . . ومجلة "تيمبو برزنت " Tempo Presente فى إيطاليا والتى صدرت عام ١٩٥٦ برئاسة تحرير أجناريو سيلونى وكانت قريبة الشبه من مجلة سارتر "الأزمنة الحديثة" Letemps Modernes وصدرت فى الهند مجلة "كوست" Quest عام ١٩٥٥ وفى اليابان مجلة "جيو" Jiyu التى كانت تعمل على تخفيف العداوة لأمريكا فى اليابان .

اختــراق وتوجيــه

كتب "آرثر ميلر" كانت الولايات المتحدة تتصرف مع أصغر حزب شيوعى فى العالم (الحزب الشيوعى الأمريكى) وكأنها على شفا حرب ثورية دموية . . وكان عدد أعضاء الحزب عام ١٩٥٠ ما يقارب الواحد والثلاثين ألفاً تقلصوا إلى آلاف قليلة عام ١٩٥٦ . . وكان يقال إن معظمهم عملاء سريون لمكتب التحقيقات الفيدرالى (F.B.I) وفيما بعد قال وليم كولبى "كنت دائماً على يقين مما يقال بأن FBI حافظ على الحزب الشيوعى قائما عن طريق تسديد اشتراكات عملائه" . . وقال الكاتب هيوارد فاست "كان الحزب الشيوعى فى تلك الفترة من الناحية العملية فرعاً من وزارة العدل" .

آرثر ميلر أو الأمريكى العاق كما كان يطلق عليه

وأجريت عملية مسح ومراجعة للكتب المتاحة فى المكتبات العامة وقد أعدت قائمة بثلاثين ألف كتاب يجب حظرها من بينها مئات الأعمال للكتاب والفنانين الأمريكيين . . وشملت

القائمة السوداء كتاباً مثل سارتر . . وراشيل هاميت . . وهيلين كاى . . وجين ويلتفش . . ولانجستون هيوز . . وأدوين سيفر . . وبرنارد ستيرن . . وهووارد فاست . . وجون أبت . . وجيه جوليور . . وماركوس سنجز . . وناثانديت . . ومكسيم جوركى . . وتروفيم ليسنكو . . وجون ريد . . وآجنس سميدلى . . وهيرمان ميلجى . .

وشكلت لجنة برئاسة مكارثى تلاحق الكتب والكتاب والمثقفين وتأخذهم بالشبهة أو لمجرد رأى سياسى أو موقف فكرى . . فالكاتب الشهير توماس مان ـ الحائز على جائزة نوبل تعرض لاضطهاد وتجاهل لأنه ـ كما وصفه المكارثيون ـ كان متساهلاً مع الشيوعية .

الفن والسينما

لم يكن الاختراق والتوجيه فى مجال الفن مختلفاً عن الثقافة والأدب . . وكانت هيئة السينما المنبثقة عن المخابرات الأمريكية تمول المعارض والمهرجانات وتستقطب الفنانين والمخرجين . . وكانت الهيئة تملك شبكة عمل وتوزيع فى ٨٧ دولة وتتمتع بدعم حكومى هائل .

وكانت الهيئة ورجالها يتدخلون فى مراحل الإعداد للأفلام والأعمال الفنية والمسرحية بالحذف والتغيير والإضافة وفق إستراتيجية محددة فى أذهانهم قائمة على معاداة الشيوعية وترويج الثقافة الأمريكية والتغاضى عن العيوب والأخطاء .

أهمية مجلة إنكاونتر

وبعد سقوط حائط برلين التقى ضباط الـ (C.I.A) بضباط المخابرات الروسية الـ (K.G.B)وتساءل خبراء الدعاية من الطرفين عن جدوى وأهمية مجلة إنكاونتر وتبين أن الروس كانوا يقرؤونها باهتمام كبير لدرجة أن رئيس تحرير المجلة وكان يدعى "لايكى " فوجئ كثيراً بهذا الاهتمام

ولم يكن الكثير من الكتاب والمثقفين حتى ذلك الحين يعلمون أنهم يشاركون فى مشروعات وأعمال تمولها المخابرات الأمريكية . . وبعضهم عندما اكتشف ذلك بعد سنوات طويلة اعتزل عمله .

وتوقفت مجلة إنكاونتر (أهم مجلات الـ C.I.A) عام ١٩٩٠ وكانت فى سنواتها الأخيرة قد ضعفت وتراجعت وكانت كلمة النهاية فى الحرب الباردة هى نهايتها الفعلية . . أما أولئك الأبطال الذين خدموا فى حرب ثقافية انتهت فجأة بنهاية الثمانينيات فقد أحيلوا إلى أعمال مدنية بعيدة أو عزلة نائية وبعضهم تقاعد قبل ذلك وودعوا الخدمة بأوسمة ومكافآت مالية .

الوعى.. والوعى الزائف.. ثقافة خاصة جداً..

ومن هنا يبرز جانب مهم من أهم جوانب الحرب الباردة يمثل الدور الأساسى والمستقل للثقافة فى الصراع السياسى والاجتماعى . . خاصةً مع وجود ثقافتين تتصارعان على الوعى الاجتماعى . . وتنشطان باستمرار فى الميدان الروحى : ثقافة الوعى . . وثقافة الوعى الزائف . وحيث إن الصراع الثقافى يدور من أجل اكتساب عقول البشر وإراداتهم . . فى سبيل تحررهم أو استعبادهم . . فقد ركزت الحرب الباردة الثقافية هجومها لتدمير التحصينات الأمامية للوعى الاجتماعى . . عن طريق "استخدام الدعاية لإضعاف المواقف المعادية " . . وذلك كى تبقى الجمهور قطيعاً حائراً مذهولاً . . حسب تعبير ليب مان . . أحد أفراد النخبة المكلفة بطرح "عقيدة " ثقافة الحرب الباردة . والمهمة تتطلب مهارة عالية فى الخداع والتزييف .والغاية النهائية . . كما دعا لذلك أحد التوجيهات السرية . . وهو صناعة "أناس يرون أن كل ما تقوم به الحكومة الأمريكية صحيح . . ويعتقدون أن ذلك هو قناعتهم الشخصية . . وأنه جاء بعد تفكير وليس إيحاءً من أحد " . . أى أن يقبلوا طواعية الاستعباد الروحى للمصالح الأمريكية .

تطور ثقافة الحرب الباردة..

بالنسبة للولايات المتحدة عبر عقدين من الزمن وفق استراتيجيَة ملتفة بعباءة "الحرية الثقافية " و"الدفاع عن الإيمان " إلى أن تمزقت العباءة عن " ضباب عفن " حسب تعبير السيناتور فولبرايت . . و"ورطة أخلاقية ومعنوية الخروج منها ليس سهلا " - صاغ سيسيل دى ميل . . مستشار الحكومة الأمريكية لشئون السينما . . رسالة الثقافة من خلال رؤيته لوظيفة السينما . . حيث أسندت إليها مهمة " صياغة الأهداف التى تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها . . والتى ستصل الجمهور المقصود الذى علينا كوسيط إعلامى أن نكيفه " .

الديـن أفيـون الشـعوب

والرسالة لم تزل قائمة فى تكييف الجمهور ، وفق أهداف السياسة الأمريكية . . مع الاتكاء على الدين كوسيلة سهلة توجه دفة القيادة بنفس الحمولة من مناهضة الشيوعية إلى مناهضة الإسلام والإرهاب . . وتعمق التوجه الدينى فى ثقافة الحرب الباردة ليتحول فى منتصف عقد السبعينيات إلى سلفية متزمتة تحشد تياراً من التطرف اليمينى قاد العملية السياسية فى إدارات الجمهوريين منذ عام ١٩٨٠ . . ويسترعى الانتباه فى هذا الصدد أن أحد أيديولوجيى الرأسمالية ركز على موضوع صراع الحضارات قبل سنوات من تفجيرات الحادى عشر من سبتمبر . . التى اتخذت غطاءً لحرب بوش "الصليبية " .

فى حين أن الشيوعية محددة بفكر وتنظيم خاصين بها . . ومع ذلك جرى إلباسها ثوباً فضفاضاً كى تشمل مناهضة الشيوعية كل من تتعارض مواقفه مع أهداف السياسة الأمريكية . . وبنفس منحى المراوغة والتزوير يجرى توسيع إطار الإرهاب .

ملاحظة أخرى وهى أن الحرب الباردة الثقافية من موقف دفاعى أو من منطلق هجوم مضاد . . إنما كان هدفها هو تعرية وفضح المناورات الدعائية المراوغة المتشحة بوشاح الثقافة . . فهو لا يخفى موقفاً نقدياً من شمولية الستالينية التى باسم مقارعتها بررت الحرب الباردة حملاتها الثقافية . . وهو موقف ثقافى يتسلح بالاستقامة المبدئية ومحاربة الغش والخداع باعتبارهما دخيلين على الثقافة .

معالم أساسية فى نشاطات الحرب الباردة الثقافيـــة

١ ـ الفاحشة فى هيكل الرب

نستطيع أن نكشف القناع عن نشاط مجموعات من المفكرين تحت ستار من السرية المطلقة يتولون وضع المبادئ الأيديولوجية الأساسية الموجهة لنشاط العاملين فى صناعة الرأى العام . . فالقرارات التوجيهية الأساسية لم تنطلق من الهيئات التمثيلية المنتخبة . . بل من قبل لجان تعمل وراء الكواليس . . الأمر الذى يبرر شبهة التآمر لنشاطات السياسة الأمريكية . . من

المجموعات الأيديولوجية فيلق النخبة التابع لمكتب الخدمات الإستراتيجية . . أقرت للنخبة مهمة " غير شرعية وغير قويمة " . . واستطاع أفرادها فيما بعد أن "يفرضوا نفوذهم على قاعات مجالس الإدارات والمؤسسات الأكاديمية والصحف الرئيسة والإعلام والشركات القانونية ومؤسسات الدولة" . . وأمدتهم معتقداتهم المسيحية بقناعة لا تتزعزع بأنهم الصفوة وليسوا الفئة المختارة . . عدا أفراد النخبة "المنظرين لصحافة الحرب الباردة . . كانوا هم نبلاء العصر الحديث . . نصراء الديمقراطية . . كانت هذه النخبة هى التى أدارت السياسة الأمريكية الخارجية وشكلت التشريع فى الداخل . . ومع اعتقاد مشترك بتفوقهم كانت مهمتهم هى إقامة (سلام أمريكى) ودعموا بحماس نشا ط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " .

قسم العلاقات الدولية

وتحت إدارة ألن دالاس تشكل فى وكالة المخابرات المركزية قسم العلاقات الدولية بهدف "تشجيع المفكرين على تقديم أفكار ونظريات لا تستهدف الجماهير العريضة . . وإنما موجهة بالدرجة الأولى لمجموعات نخبوية صغيرة من الجماعات الضاغطة ورجال الصناعة ممن يقرون السياسات الحكومية" . . ولدى الانتقال إلى المقر الجديد فى لانجلى عام ١٩٦١ أمر ألن دالاس بحفر عبارة على الواجهة كان يرددها من الإنجيل "ولسوف تعرف الحقيقة ولسوف يجعلك الرب حرا" . . تواطأ الكهنوت مع المخابرات المركزية على إخفاء شيطان الثروة وتهريبه داخل ملكوت الرب . . إذ قدم أحدهم Reinhold N iebour مادة لاهوتية فى مجلة التايم وطرح الخطيئة الأولى كأداة سياسية " . . كفارة عن جرائم نشاطات الرأى العام العالمى . . " وما كان للمكارثية أن تظهر بالقوة التى دفعت نشاطاتها بدون مفهوم الخطيئة الأولى المروج له عمداً من قبل علماء اللاهوت المقربين من الوكالة" . . "ومن طقوس المطاردة المكارثية أن يقوم المعترف علناً بلعن شركائه إلى جانب الشيطان" . . كانت طقوس الاعتراف أمام المحققين تتم بمظهر دينى . . ودخلت الطقوس(المقدسة) إلى عالم هوليود . . و" انتشرت حملة تطهير الثقافة الأمريكية من شرور الكفر والإلحاد " . . وفى اجتماع مشترك لضباط وزارات الحرب تقرر عام ١٩٥٥ "استغلال هوليوود فى(معركة الحرية) . . وروعى أن تبدو المعركة تلقائية وتم اعتماد(الحرية المقاتلة) أساساً لحملة عقائدية على أعلى المستويات " . ." لم تكن أفلام (الحرية

المقاتلة) لتظهر إلا فى بلد كالولايات المتحد مثقل بعبء إمبريالى . .كانت الأفلام تحتفى بالخدمة العسكرية وبطاعة الأوامر وبسيادة الأعمال الرجولية الجريئة . . والسينما مثل الدعاية تتعامل مع الخيال . . والخيال إذا ما تم تقديمه ببراعة . . سوف يعتبره الناس حقيقة " .

وبتوجيه من الرئيس ترومان فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٧ حصلت فلسفة كينان السياسية على تصريح رسمى بموجب توجيه إدارى أصدره مجلس الأمن القومى للرئيس ترومان يعطى تعليمات لمدير المخابرات المركزية بأن يشرع فى استخدام أنشطة نفسية سرية لدعم سياسة مناهضة الشيوعية . . شكل كينان هيئة الإستراتيجية النفسية لتتولى مهمة رسم الخطط الفكرية والأيديولوجية . . وما زالت طى الكتمان الورقة المقترحة بهذا الشأن . . كان هذا أول تصريح بالعمل السرى بعد الحرب . . غير أن أحد العاملين ممن اطلعوا على الورقة واسمه تشارلز بيرتون مارشال ـ راعه ما تتضمنه من "تدمير النمط الفكرى المذهبى الذى يقدم قاعدة ثقافية للمبادئ المعادية لأمريكا" . . وحسب تأويل مارشال فالورقة ناقشت فكرة النخبة . . حيث تبرز "وحيدة محدودة العدد . . القادرة وصاحبة المصلحة فى المناورة بالأمور المذهبية . . رجال الأفكار ممن يجذبون الخيوط الفكرية لتشكيل . . أو على الأقل تهيئة . . التوجهات والآراء لدى أولئك الذين يقومون بدورهم بتوجيه الرأى العام . . وفى يونيو ١٩٤٨ أقر توجيه إدارى آخر أعده كينان أيضاً لتوجيه النشاطات السرية للوكالة على مدى العقود التالية . . أقر التوجيه تشكيل مجموعة خاصة للعمليات السرية داخل الوكالة . . وأخذت المجموعة اسم مكتب تنسيق السياسات . . هنا كانت تدار الأعمال القذرة . . ومن صفوفها برز فرانك وايزنر ليقود هذه العمليات . . وليكون له شأن فى عمل منظمة الحرية الثقافية . . العاملة ضمن إطار الوكالة وبتوجيهاتها وتمويلها . . وكتب عنه زميل له "أنه جلب جماعة من الفاشيست كان بعضهم بالفعل من أشد الناس رداءة وحقارة" .

داخل الزوايا المعتمة

عرض وايزنر على جوسلسون مهمة إدارة منظمة الحرية الثقافية تحت رئاسة لورنس دونيفى . . قبل الاثنان العرض واستقالا من وظيفتيهما الشكليتين فى مكتب سلطة الاحتلال العسكرى الأمريكى فى ألمانيا . . واستمر جوسلسون فى المنصب إلى أن اضطر للاستقالة

متحملاً وحده مسئولية تلقى المعونات المالية من وكالة المخابرات المركزية بعد افتضاح أمرها . . فقد عملت وكالة المخابرات المركزية فى تلك الأثناء بمثابة وزارة ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية . . حيث ضخت عشرات ملايين الدولارات لمنظمة الحرية الثقافية والمشروعات المتصلة بها . . وفى اجتماع مشترك مع المخابرات نوقش موضوع إصدار مجلة رفيعة المستوى تهدف إلى تشجيع خطاب يسارى متحرر من لغة الكرملين . . وصدرت إنكاونتر "لسد النقص فى الدعاية المضادة للشيوعية فى بريطانيا" . . كانت أموال الوكالة تتدفق على مطبوعاتها فى القارات كافة عبر الصناديق "الخيرية " فورد . . روكفلر وفارفيلد . . ويقول جون هنت "أن مجلة (حوار) صدرت بالعربية برعاية وتمويل منظمة حرية الثقافة . . وحمل عددها الأول مقابلة مع إليوت ومقالاً كتبه سيلونى يدعو فيه إلى استقلالية الكاتب واستقلالية الفن" !

وفى بريطانيا شكلت حكومة أتلى العمالية منظمة إدارة البحث الإعلامى لمكافحة الشيوعية . . وعينت أرنست بيفن مهندساً للمنظمة والكاتب آرثر كويستلر مستشارا" . . دعا رالف موراى . . أول رئيس للمنظمة إلى" تجنب إثارة الانطباع بأن وزارة الخارجية تنظم حملة معادية للشيوعية . . فذلك من شأنه أن يغضب أو يحرج عدداً من الأفراد ممن لديهم استعداد لتقديم العون لنا إذا نحن عرضناهم للاتهام بأنهم يتلقون معلومات عن طريق كيان شرير فى وزارة الخارجية يقوم بفبركة دعاية موجهة ضد السوفييت " . . أما كويستلر فقد ألف كتاباً عن تجربته مع الحزب الشيوعى . . اشترت وزارة الخارجية خمسين ألف نسخة منه . . وناقش مع ريتشارد كروسمان . . رئيس القسم الألمانى فى الحرب النفسية . . فكرة إصدار كتاب مشترك يضم خبرات شيوعيين سابقين . . نشر الكتاب وعنوانه "الإله الذى هوى " . . على حلقات فى مجلة ديرمونات . . التى يحررها جوناه لاسكى باسم منظمة الحرية الثقافية . . ثم صدر فى طبعات عدة . . بريطانية وألمانية وأمريكية . . جاء الكتاب نتاج مثقفين والمخابرات .

ولاسكى . . أحد المبادرين فى الحرب الثقافية . ." نشأ فى كنف جده الذى غذاه بنصوص من أساطير اليهود . . وتخرج فى نيويورك سيتى كوليدج . . التى أكسبته سوء خلق نادراً ما تخلى عنه . . عمل فى مجلة (نيو ليدر) المعادية للشيوعية . . وغدا قوة يحسب لها الحساب وهو يشق طريقه فى حملات الحرب الباردة . . وكان سلوكه مزعجاً حتى للسلطات الأمريكية . .

نجح لاسكى فى إصدار مجلة ديرمونات "البناء جسر أيديولوجى مع المثقفين الألمان . . ممن يقدمون على المدى الطويل القيادات الأخلاقية والسياسية للمجتمع الألمانى . . وكذلك تمهيد الطريق أمام المصالح الأمريكية عن طريق تدعيم الأهداف العامة لسياسة الولايات المتحدة فى ألمانيا وأوروبا" . . كانت المجلة تمول من مشروع مارشال .

صبيــة رانســوم

النشاط الموجه بالسرية المطلقة داخل الوسط الأكاديمى . . كان جيمس أنجلتون J.mes Jesus Angelton أول رئيس للمخابرات المضادة . . هو الذى تولى مهمة الاتصال الرئيسة بأساتذة الجامعات العريقة . . قدم إزرا باوند لجامعة ييل وأسس مجلة (فيوريوزو) للشعر . . وكان البروفيسور نورمان هولمز بيرسون أحد المجندين فى القسم . . وهو عالم إنسانيات اشتهر بتحرير كتاب (شعراء اللغة الإنجليزية) وعمل فى وحدة التجسس المضاد تحت إشراف أنجلتون . . وفى جامعة ييل رأس بيرسون تنمية وتطوير الدراسات الجامعية فى الداخل والخارج . ."كانت الدراسات الخارجية ذات أهمية واضحة لأنها ساعدتنا على القيام بدورنا بعد الحرب كحاكم للعالم وعززت قدرتنا الثقافية بين المحكومين أدار "أنجلتون " مجموعة من المستقلين العاملين بالصحف يقومون بعمليات "شديدة الخطورة والحساسية" . . كان أنجلتون يحتفظ بأسرارها فى خزانة خاصة فى مكتبه لا يصل إليها أحد سواه " . . وفى كينيون كوليدج . . حيث حاضر Crowe Rnsom وأسس مجلة(كينيون ريفيو) الأدبية الحداثية التى شكلت ذائقة جيل كامل . . تجمعت مواهب أدبية أطلق عليها صبية رانسوم . ." نخبة نشأت على الثقافة الحداثية . . تقدس إليوت وباوند وييتس وجويس وبروست . . كانوا يعتقدون أنهم ليس من واجبهم أن يعطوا الجمهور ما يريد . . أو ما يعتقد أنه يريد . . ولكن ما ينبغى أن يحصل عليه . . وذلك من خلال أكثر أعضاء النخبة ذكاءً . . اتخذوا لأنفسهم وضع نخبة من الأمراء فى الدفاع عن الديمقراطية ويسدون الطريق على البربرية . . كانوا حداثيين يخافون الحداثة وحدّها المغلف بالدم " . برز من بينهم الشاعر روبرت لويل الذى قُدم منافساً للشاعر بابلو نيرودا فى الأمريكيتين . جرى تجنيده وعين فى قسم المنظمات الدولية للعمل مع جوسلسون . . وانتهى أمره بالإدمان على المهدئات . . ثم فى مصحة الأمراض العقلية . من الصبية أيضاً عمل جاك طومسون مديراً تنفيذياً لمؤسسة فارفيلد والروائى الشاب "جون هنت " عضو سكرتاريا منظمة الحرية الثقافية ومساعداً لجو سلسون بعد إصابته بأزمة قلبية .

وكان من اختصاصات مكتب المنظمات الدولية برنامج إصدار الكتب . . ونشرها . . وتوزيعها في الخارج . . دون الكشف عن أي نفوذ أمركيي . . والدعم السري للمطبوعات في الخارج" . . وفي عام ١٩٧٧ قالت نيويورك تايمز إن "الوكالة نشرت ما لا يقل عن ألف كتاب من بينها كتاب الأمير لميكافيلي ودكتور زيفاجو لباسترناك " . . كان عملاء المكتب من الأدباء يساعدون في تحرير "مذكرات " المرتدين عن الشيوعية ويكتبون للموسوعات ويحررون في مجلات عرض الكتب .

سياسة الصناديق الخيرية..

ثم جاءت مرحلة الاندماج العضوي والصلات المعقدة بين القطاعات الاقتصادية والصناديق الخيرية والأجهزة السرية . . ففي عام ١٩٤٩ ترأس ألن دالاس اللجنة القومية من أجل أوروبا الحرة . . وكان دالاس يدرك أن نجاح برنامج الحرب الثقافية الأمريكية يعتمد على " قدرتها على أن تبدو مستقلة عن الحكومة وعلى أنها تمثل القناعات الذاتية للأفراد المحبين للحرية " . . وضمت اللجنة القومية جاردنر كاولز رئيس مجموعة كاولز للنشر . . وهنري فورد الثاني رئيس جنرال موتورز . . واوفيتا كالب هوبي إحدى أمناء متحف الفن الحديث . . التي سمحت باستخدام العديد من المؤسسات العائلية كقنوات توصيل الدعم من الوكالة وغيرهم من الشخصيات الاجتماعية والرسمية . . كانوا من المطلعين . . والمطلع هو "المنتمي إلى عالم النخبة . . يعرف مداخلها ومفاهيمها وتصوراتها النخبوية التي توجه الدائرة المغلقة للمخابرات" . . وكان يجمع التبرعات للجنة شُعبة يرأسها ممثل ناشئ اسمه رونالد ريجان . . وكتب عميل الوكالة وليم كولبي " كنا نوسع نشاطنا عادة لكي نجد أمريكيين يوافقون على وضع الأموال في حساباتهم بالبنوك ثم يستخدمونها للمساهمة بطرق مختلفة . . من السهل أن تمر الأموال إلى أي مكان في العالم لخدمة الهدف المطلوب" .

"كان جاردنر كاولز من كبار المسئولين في فارفيلد . . أحد المانحين من مؤسسة كاولز ومقرها في أيوا . . كما كان عضواً مشاركاً في الحملة من أجل الحرية والراعي لمجلة التاريخ الفصلية التي كانت تصدرها جمعية المؤرخين الأمريكيين بتمويل من التبرعات الخاصة . . وكانت

إحدى ثمار الحرب الباردة . . كان من جملة رعاتها وليم دونوفان ودوايت أيزنهاور وألن دالاس وهنرى لوس " .

"أحياناً كانت مؤسسة فورد تبدو كأنها مجرد امتداد للحكم فى ميدان الدعاية الثقافية العالمية . . لها تاريخ طويل من التورط فى العمليات السرية فى أوروبا حيث عملت مع مشروع مارشال ووكالة المخابرات المركزية . . وتوثقت العلاقة عندما جاء ريتشارد بيسل . . مخطط مشروع مارشال . . إلى مؤسسة فورد عام ١٩٥٢ ، وفجأة ترك بيسل المؤسسة لكى يلتحق بالوكالة مساعداً لدالاس "(١٦٥) . . وشرعت مؤسسة فورد برنامجاً للنشر بإشراف جيمز لافلن . . ناشر الأدب الطليعى (أورويل وهنرى ميللر) . . وبمنحة قدرها نصف مليون دولار . . بدأ لافلن إصدار مجلة Perspectives باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية . . موجهة إلى اليسار غير الشيوعى . كان يؤكد أن هدف المجلة لا يقتصر على هزيمة اليسار فى صراع جدلى لكى يزحزحهم عن مواقفهم . . بل يزيد الاحترام لإنجازات أمريكا غير العادية بين المثقفين فى الخارج " .

وأسهمت مؤسسة روكفلر وشقيقتها (روكفلر براذرز) كذلك فى الحرب الثقافية . . ومن كوادرها الثقافية المكلفين بدراسة معنى أهداف الأمن والإستراتيجية الدولية برز هنرى كيسنجر وجون ماكلوى وروبرت لافيت . . واستطاع نيلسون روكفيلر أن يضمن لهؤلاء ولغيرهم مراكز متنفذة فى المخابرات . . كان روكفلر يقدم للمخابرات أموالاً للقيام بأعمال ليست مدرجة فى البرنامج . وقدم مرة . . كما كتب أحد قادة الوكالة . . خمسين ألف دولار لشخص ينشط فى مجال الدعاية من أجل أوروبا حرة موحدة . . المشروع الذى نسقت الوكالة النشاط من أجله مع قيادة حزب العمال البريطانى . التعبيرية التجريدية سلاح الحرب الباردة" .

للتنويه بدور نيلسون روكفلر صاحب ومدير بنك (تشيز مانهاتن) فى دعم الفن التجريدى المفرغ من المضمون . . استعانت الوكالة بجهوده فى الدفاع عن التجريد الفنى بوجه جماعة اعتقدت أن رسوم الفن التجريدى "خرائط سرية تحدد مواقع الدفاعات الاستراتيجية للولايات المتحدة " . . كان متحف الفن الحديث الممول من قبل مؤسسة روكفلر فى طليعة الحداثة الفنية . . واعتبر روكفلر التجريد "رسم المغامرة الحرة " . . وكتبت إيفا كوكروفت عام ١٩٧٤

مقالة بمجلة (آرت فوروم) بعنوان " التعبيرية التجريدية سلاح الحرب الباردة" انتهت فيها إلى أن "الصلة بين الحرب الباردة الثقافية ونجاح التعبيرية التجريدية ليست من قبيل الصدفة . . لقد تمت صياغتها فى حينه بأيدى بعض أهم الشخصيات الذين كانوا يرسمون سياسة المتحف ويشجعون على تكتيكات مستنيرة فى الحرب الباردة التى تستهدف المثقفين الأوروبيين . . كانت أعمال كل من الجهاز الثقافى للوكالة والبرنامج الدولى لمتحف الفن الحديث متطابقة . . بل مدعمة لبعضها البعض " .

كانت صناديق روكفلر وفورد وفارفيلد وغيرها تمنح تبرعات سخية لتشجيع الفنانين والموسيقيين والأدباء الحداثيين . . وانتشرت فى ذلك الحين حكاية طريفة تقول إن أحد الممولين المحافظين ممن توافرت لديه ذائقة فنية . . اشتكى من كون كثير من الكتاب يساريين . . وردّ روكفلر بأن الكتّاب دائماً فى احتياج فلماذا لا يخصص بعض الأموال للمنح والجوائز ؟ سيغدون أكثر سعادة وأقل ميلاً لأن يكونوا ثوريين . . وخصص ميلون جائزتين قيمة كل منهما عشرون ألف دولار . . ميلون وبوللنجين . . منحت الأخيرة لإزرا باوند على ديوانه (أناشيد بيزا) . وأثار منحه الجائزة انتقادات حادة نظراً لأنه خدم فى إذاعة موسولينى وقدم برامج تضمنت التقريع اللاذع للرئيس روزفلت والثناء الحار على هتلر وكتابه (كفاحى) " .

أسـراب الطيـور

وجد أقطاب الحرب الباردة أنفسهم أمام تناقض خطر . . يحتفلون بالنازية مطالبين بحدة بفصل الفن عن السياسة . . أما مع الشيوعية فليسوا مستعدين لممارسة الفصل . . برز هذا المنطق اللا منطقى على السطح فى أواخر الأربعينيات .

قبل انضمامهما إلى منظمة الحرية الثقافية . . عمل جو سلسون . . ونابوكوف ضابطى علاقات عامة فى المفوضية الأمريكية العليا بألمانيا " مسئولين عن غربلة الأفراد فى الصحافة الألمانية والإذاعة ووسائل الإعلام الترفيهية الألمانية " . وكتب سلسون يقول " لعبت دوراً رئيساً فى إنقاذ المايسترو الألمانى الكبير ولهلم فورتفانجلر من مهانة المرور بعملية التطهير من النازية وقد تحققت المناورة بمساعدة نابوكوف " . بالإضافة إلى المذكور أنقذت اللجنة كلاً من إليزابيث

شوارسكوف وهربرت فون كارجان الملقب(كولونيل الـ SS) عضو الحزب النازى منذ عام ١٩٣٣ . . ولم يتردد قط فى افتتاح حفلاته بمعزوفة "هورست فايسل ليد" المفضلة لدى النازيين . .

وتشكلت "الحركة الأوروبية " . . وعملت تحت إشراف الوكالة المباشر . . وعمل برادن أول سكرتير للحركة . وقد شرع فى برنامج ضخم لتقديم المنح الطالبية . . وأسندت إلى جاى ليفستون . . أحد العاملين فى التجسس المضاد تحت إشراف أنجلتون . . مهمة "اختراق اتحادات العمال وتصفية عناصرها المشكوك فيها وترقية العناصر المرضى عنها" . . توثقت الصلات بين يمين حزب العمال ومنظمة الحرية الثقافية . . وتوثقت صلات جيتسكل مع إدارة البحث الإعلامى ومع لاسكى .

بالمقابل أيضاً أقدمت الحرب الثقافية فى عنفوان هجومها المتمثل بالمكارثية على إحراق عدد من الكتب سبق إحراقها زمن النازية . . وسجن داشيل هاميت مدة اثنين وعشرين شهراً "لأنه رفض الإفصاح عن المساهمين فى صندوق(كفالة الحقوق المدنية) " . . واحتفظ مكتب التحقيقات الفيدرالى بملفات لجميع الذين فتشت لجنة مكارثى فى ضمائرهم . . واشتكى إرنست همنجواى من ملاحقات المكتب لتحركاته . . غير أن شكواه اعتبرت فى حينها نوعاً من الهوس . . وبعد موته سحب ملفه من المكتب وكان يحوى ١١٣ ورقة " .

شقوق وتصدعات

قطع دوايت ماكدونالد عمله فى مجلة(إنكاونتر) وعاد إلى نيويورك . . صدمته الأخلاقيات العامة شديدة الرداءة مقابل ثراء القيم الروحية فى أوروبا . . وجه إلى المجلة مقالة حملت خوفه من "العنف والبهرجة الزائدة وبشاعة أمريكا . . ذلك البلد الذى لا يحمل سمة خاصة به ولا إحساساً بماضٍ أو حاضر . . والساعى لانتزاع أكبر قدر ممكن من المال . . ثم أكد أن الشعار القومى يجب ألا يكون "واحداً من كثرة " ولا "نحن نثق بالله " . . إنما " أن أحصل على ما أريد رغم أنفك " . . أطاح ماكدونالد بكل الأبقار المقدسة . . " أدان المادية المفرطة التى لا يقابلها أى تقدم روحانى . .استنكر جرائم العنف وحمى الإعلانات . . وانعدام التميز بين نقاد

الأدب وتفشى التفرقة العنصرية . هاجم رموز الحرب الباردة . ." رفض القائمون على المجلة نشر المقال . . الأمر الذى أثار حملة استنكار واسعة . . تبين أن كل المقالات تراقب قبل نشرها فى مجلات "منظمة الحرية الثقافية " .كتب جاسون إيبشتين ، أن " وكالة المخابرات المركزية تزعم أنها ترعى حرية التعبير . . والحقيقة أن ذلك لم يكن صحيحاً . . رفض المحررون نشر مقال ماكدونالد لأنهم عرفوا موقف الوكالة " . . وتناول الموضوع عالم الاجتماع . . نورمان بيرنباوم فى رسالة وجهها إلى الكونجرس " أظهر فيها وجود فجوة بين ما تدعو إليه منظمة الحرية الثقافية وبين ما تمارسه بالفعل . . فالحرية لا تتجزأ . . ولا بد من النضال من أجل تلك القضايا . . كبيرها وصغيرها . . وأن يمتد ذلك إلى كل جمود واستبداد " . . وعبر أحد المؤرخين عن الموضوع بقوله "السؤال الخاص بالاستقلالية لا يتعلق بما إذا كانت هناك تعليمات تصدر للمحررين . . السؤال هو من الذى اختار أولئك المحررين أصلاً . . ومن الذى وضع الحدود الواضحة للرأى المسئول . . التى فى إطارها تناقش الاختلافات" .

حادثة الشاعر (لويل)

فى الأيام الأولى من إدارة جون كينيدى كتب لويل . . الشاعر البارز من صبية رانسوم . . "يعتريك الشعور بعدم أهمية الفنان وبأنه نوع من بضائع الزينة للواجهة .إن شيئا أكثر قرباً من البنتاجون هو الذى يدير دفة الدولة بالفعل . . أشعر بأننا نحن المثقفين نلعب دوراً فيه الكثير من الخيلاء والتفاهة " . . وفى سبتمبر ١٩٦٢ قذف لويل حبوب التهدئة التى كان يتناولها . . وأدمن الشراب أثناء حفل استقبال أقيم له فى عاصمة الأرجنتين . أعلن أنه قيصر الأرجنتين . . امتدح الفوهزر وأيديولوجيا السوبرمان وتجرد من ملابسه وصعد تمثال الفروسية فى إحدى ساحات العاصمة . . تمت السيطرة عليه وأودع إحدى مصحات الأمراض العقلية " . كانت الحادثة كارثة كاملة فقد اختير لويل كأمريكى متميز مقابل نيرودا . . وسرت فى ذلك الحين شائعات بأن بابلو سيمنح جائزة نوبل للآداب . . فانطلقت حملة تجريح بحق الرجل "يجب بكل ثمن تجنب فضيحة منح نيرودا جائزة نوبل" .

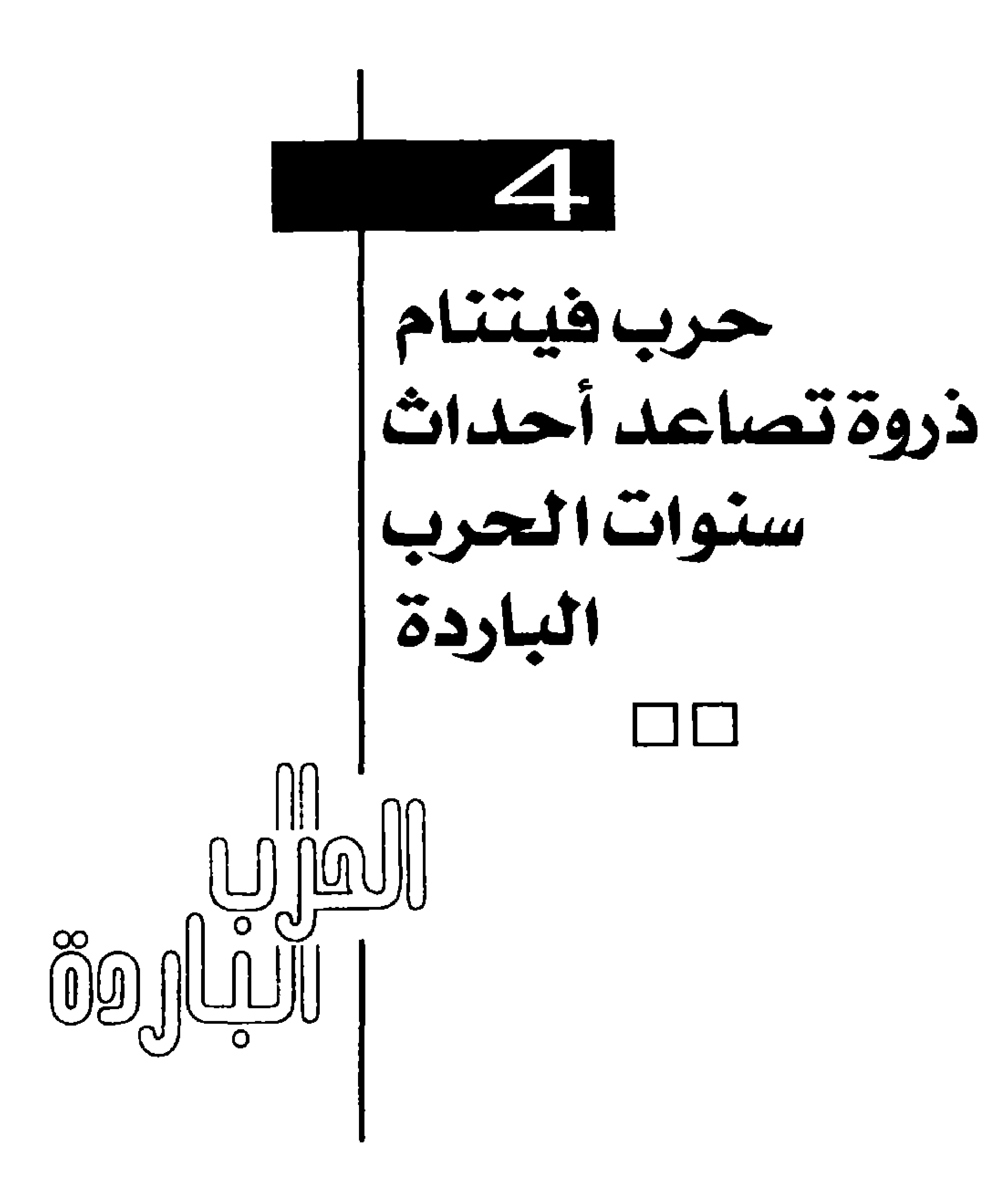
وتحول السيناتور فولبرايت عن الحرب الباردة وشرع يهاجم "غباء ما نفعله " . . وبدأت نيويورك تايمز الكشف عن المخبأ فى الدهاليز المظلمة للحكومة الأمريكية . . جاءت الدهشة

كبيرة بسبب ما تكشّف من أسرار الوكالة " تشعب وتغلغل أنشطة الوكالة فى الداخل والخارج يبدو بلا نهاية " .

وفى مطلع عام ١٩٦٦ نشرت مجلة (رامبرانتس) التى تصدر فى كاليفورنيا سلسلة مقالات هاجمت فيها المنظمات الوهمية التابعة للوكالة . . وعلى الفور عين ريتشارد هيلمز . . نائب مدير الوكالة للتخطيط . . مساعداً خاصاً لجمع المعلومات عن مجلة رامبرانتس " بما فى ذلك ما تقوم به من نشاط هدام وتقديم المقترحات للوكالة للتصدى لذلك " . فشل المساعد المعين فى العثور على ما يدين المجلة . . فتطوعت مجلة(هيومان إيفنتس) للقيام بحملة تشهير تحت عنوان "القصة الكاملة لمجلة رامبرانتس " . غير أن المجلة واصلت نشر الحقائق عن العمليات السرية للوكالة وواجهاتها فى الداخل . . وافتضح أمر مجلة إنكاونتر" .

وفى غرفة بجانب الغرفة التى جلس فيها جوسلسون وهْنت تداول أعضاء الهيئة العمومية لمنظمة الحرية الثقافية فى اجتماع مغلق ـ موضوع استقالة الاثنين بعد أن افتضح أمر تلقيهما أموال الوكالة . . كانت خطورة إخفاء الأمر ستطال مئات الأشخاص . . والأكثر منها أنها كانت تمثل ورطة أخلاقية ومعنوية الخروج منها ليس سهلا . . فى نهاية الاجتماع تلى بيان الجمعية العمومية : "تبدى الجمعية العمومية عميق أسفها . . إذ إن المعلومات التى نقلت إليها تؤكد ما قيل من أن معونات المخابرات المركزية استخدمت . . وأن السكرتير قبل المعونات دون إخطار زملائه . والجمعية العمومية تؤكد اعتزازها بإنجازات المنظمة منذ تأسيسها وتود التعبير عن اقتناعها بأن أنشطتها كانت بعيدة تماماً عن أى نفوذ أو ضغط من أى جهة كانت تدعمها مالياً"! وهكذا انتهى البيان بأكذوبة . . إشعاراً بأن حرفة الكذب والتزييف والمراوغة سوف تستمر فى دنيا ثقافة تدمير القيم الإنسانية .

■ ■ ■



4

حرب فيتنام ذروة تصاعد أحداث سنوات الحرب الباردة

□□

أمّ وأولادها يحاولون عبور النهر
فى جنوب فيتنام هروبا من القصف الأمريكى

وكانت حرب فيتنام أو الحرب الهندواصينية الثانية قد نشبت إثر نزاع بين جمهورية فيتنام الديمقراطية (فيتنام الشمالية) بينما تحالف الاتحاد السوفيتى والصين مع فيتنام الشمالية . . متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية . . ضد جمهورية فيتنام (فيتنام الجنوبية) مع حلفائها وكانت الولايات المتحدة الأمريكية من بين الحلفاء ومعهما تايلاند . . أستراليا . . نيوزيلندا . . والفلبين متحالفة مع فيتنام الجنوبية .

بدأت الحرب فى ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ وانتهت فى ١٧ يونيو ١٩٧٥ بدأت قوات ألفيت منه فى الجنوب فى التمرد على حكومة ديم . . وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونج . . وفى عام ١٩٥٩م أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها . . وفى عام ١٩٦٠م شكل الثوار جبهة التحرير الوطنية التى أوكلت إليها مهمة قيادة الثورة . . ورويداً رويداً تشعبت الحرب وازدادت ضراوة . . وفى الخمسينيات كانت الولايات المتحدة قد شرعت فى إرسال مستشارين مدنيين وعسكريين لفيتنام الجنوبية . . وبحلول عام ١٩٦٥م بدأت فى إرسال قوات عسكرية وشن غارات جوية على فيتنام الشمالية . . واستمر التورط الأمريكى فى هذه الحرب حتى عام ١٩٧٣م . . علماً بأن الصين والاتحاد السوفيتى (سابقًا) كانا يمدان فيتنام الشمالية والفيت كونج بالأسلحة والإمدادات . . وانتهى الغزو الأمريكى باتحاد فيتنام الشمالية والجنوبية .

أُنزلت البحرية الأمريكية فى فيتنام عام ١٩٦٥ . . أرسلها إلى هناك الرئيس الأمريكى "ليندون جونسون" الذى تولى السلطة بعد اغتيال كينيدى قبيل عامين تحديداً من ذلك التاريخ بهدف مساعدة فيتنام والوقوف فى وجه الاتحاد السوفيتى . . وكان جونسون يتخيلها حربًا سريعة ومحددة . .

وللمرة الأولى فى التاريخ يشاهد العالم ساحات المعارك أثناء الاشتباكات فى نفس يوم اندلاع المعارك . . إنها الحرب المتلفزة الأولى . . فحين وصلت القوات الأمريكية إلى فيتنام عام ١٩٦٥ . . خرجت شبكة التلفزة معها لتنقل الحرب مباشرة من فيتنام .

يقول الصحفى الأمريكى الشهير "والتر كرونكيت" الذى كان يعمل مراسلاً لمحطة "سى بى إس" التليفزيونية :

(حين وصلت أول مرة إلى فيتنام عام ١٩٦٥ شعرت بأننا ربما نسير بالاتجاه الصحيح فى فيتنام . . كنا فى تلك الفترة مرتبطين بالمستشارين . . وكنا نضع أفضل وحدات مقاتلة لدينا فى البلد . . لدعم جنوب فيتنام فى مقاومتها لزحف الشيوعيين . . وارتأيت حينذاك أن هذا هو الاتجاه السليم) .

كانت فيتنام منقسمة بفعل الحرب

يحكم الشيوعيون فيتنام الشمالية بدعم من روسيا والصين . . أما الجنوب فكانت تدعمه الولايات المتحدة . . وحين زحف الفيت كونج الشيوعيون إلى الجنوب تدخل الأمريكيون لوقفهم .

كان القادة الأمريكيون شديدى الحماس . . ولكنهم لم يكونوا على علم بما هى طبيعة الحرب التى يتورطون فيها . . كان الجنرال الذى يقود الجيش الثالث والسبعين بعد المائة ينتقد بشدة الطريقة التى يقاتل بها الفيتناميون فى الحرب . . فهم لا يقفون للمواجهة كالرجال . . بحسب قوله بل يضربون ويهربون إلى الغابات . . حتى إنهم يتركون خلفهم أطفالاً ونساءً . . لا شك فى أن هذا هو أسلوب حرب العصابات .

ولكن حرب العصابات كانت تسعى لتحقيق هدف واحد . . توحيد جنوب فيتنام وشمالها تحت لواء القائد الشيوعى "أوشيه مينى" بدعم من الرئيس "ماو تسى تونج"الصينى . .

وبينماكان قادة الشيوعيين ينظمون الفلاحين فى شمال فيتنام . . كانوا سرًا يجدون دعمًا مهمًا فى الجنوب .

المشكلة بالنسبة للقوات الأمريكية كانت تتمثل فى عدم قدرة القيادة العسكرية على التمييز بين الصديق والخصم . . فكانوا يلجأون إلى حرق القرى بكاملها وتسويتها مع الأرض . . يذكر أحد الضباط ذلك بالقول : (كنا نُجبر على حرق القرى بهدف حماية أنفسنا) .كما أُجبر أربعة ملايين مواطن من الشعب الفيتنامى فى الجنوب على التخلى عن منازلهم . . فى الوقت الذى كان فيه الخوف والكآبة يسيطران على الشبان من الوحدات الأمريكية . . التى كانت تقاتل عدوًا لا تراه . . على مسافة اثنى عشر ألف ميل من الوطن .

دبابة أمريكية تجر جندياً فيتنامياً جنوب فيتنام

بدأ الجندى الأمريكى بزرع الرعب فى قلوب الفيتناميين . . الذين يُفترض أنه هناك للدفاع عنهم .

ورغم كثرة المشاكل فى فيتنام . . إلا أن الجميع فى الولايات المتحدة كانوا متفائلين . . وكانت الـ (C.I.A) والقيادة العسكرية تبعث إلى إدارة جونسون بتقارير إيجابية عن خط سير الحرب . . ومدى تقدمها . .

عمل لدى الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت مستشار من الشباب يدعى جونسون . . وهو شاب فى السادسة والعشرين كان يسجل الملاحظات فى اجتماعات رفيعة المستوى فى البيت الأبيض . . حاز ثقة الرئيس طوال فترة الحرب .

وكانت الصحافة فى بادئ الأمر تدعم موقفه من الحرب . . ثم جرى تحالف واسع بين الليبراليين والمحافظين . . وكان الكثيرون منهم يريدونه أن يبذل مزيدًا من الجهد .

مع نهاية عام ١٩٦٥ كان الدعم للسياسة الأمريكية ضد الشيوعيين بنسبة خمس وستين فى المائة . . ويميل إلى النمو فى غالب كبريات المدن والولايات فى أنحاء أمريكا . . التى كانت تؤيد إرسال مزيد من الوحدات إلى ساحات القتال . . فى الجانب الآخر من العالم .

ليس من السهل على الناس أن يغادروا . . وليس من السهل أن تطلب من أحد الرحيل عن وطنه بسعادة للقيام بالواجب بعيدًا عنه . . ولكن واجب الدفاع لم يكن من المسائل السهلة . .

وحدة الهدف بين الجانبين

التقى الجنرال "ويست مورلاند" و"ليندون جونسون" وجهًا لوجه للتحدث فى شئون الحرب الفيتنامية . .كانا يؤمنان معًا بمصير أمريكا . . ولا بد من تدمير الشيوعية فى العالم .

عام ١٩٦٥ بدأ جونسون وويست مورلاند حملة قصف مكثفة عرفت بعملية "الرعد الزاحف" . . هدفت تلك العملية إلى قصف شامل لمدن فيتنام الشمالية . . ومصانعها . . وخطوط اتصالاتها الرئيسية .

لحظات قليلة قبل موت رئيس الشيلى المنتخب سلفادور ألندى خلال الانقلاب

12 يوماً من الدمار

على مدار الاثنا عشر يومًا التالية ألقيت على هذا البلد الصغيركميات من القذائف تزيد على ما أُلقى خلال أربع سنوات من الحرب العالمية الثانية بكاملها . . واعتقد جونسون وويست مورلاند قائداً القوات الأمريكية فى فيتنام أنهما سيكسبان الحرب بكل سهولة . . لكنهما لم يقدرا قوة حرب العصابات .

وبعد عامين من الحرب وصلت معلومات من أجهزة الاستخبارات . . تؤكد أن أعدادًا هائلة من وحدات العدو تحتشد بالقرب من القاعدة البحرية الأمريكية "كى صن" .

حاصر أربعون ألف جندى من فيتنام الشمالية . . أربعة آلاف من جنود البحرية الأمريكية العاملين هناك . . وصلت رسالة من جونسون تقول :

(لا أريد سماع نبأ عن "دين بيان فو" جديدة) .

كان جونسون يقصد التذكير بالمذبحة التى تعرض لها رجال البحرية الفرنسية قبيل ثلاثة عشر عامًا فى موقعة " دين بيان فو " الشهيرة . . لكن "ويست مورلاند" أكد أنه إذا تمكنت القوات المحاصرة من المقاومة حتى حلول موعد وقف إطلاق النار التقليدى . . سيتم احتواء الهجوم .

طوال تجربتها العسكرية الماضية . . كانت فيتنام تعتمد إجازة أسبوعين خلال السنة الصينية القمرية الجديدة . . كان يتم الاحتفال بالمناسبة الدينية الواسعة من قبل العسكريين والمدنيين على حد سواء . . تعتبر التقاليد أن الألعاب النارية تبعد الأرواح الشريرة لمدة عام آخر . . وذلك وفق معتقداتهم الباطلة .

عام ١٩٦٨ انتهك الفيت كونج تلك الهدنة . . وجهزوا لحملة واسعة النطاق فى الليلة الأولى من الإجازة .

وهاجم سبعون ألف فيتنامى ـ وبوقت واحد ـ ستة وثلاثين مدينة . . وأربعًا وأربعين بلدة . . وأربعًا وستين قرية . . فى جميع أنحاء فيتنام . . أما هدفهم الرئيسى فكان "سايجون" العاصمة .

لقد كان هجومًا مباغتًا .

تأكدت فيتنام الجنوبية وحلفاؤها الأمريكيون من عدم نجاة أى منطقة من الهجوم فى تلك الليلة .

فانتقلت الحرب من الأدغال إلى المدن . . وغرف النوم . . والمنازل . . والمستشفيات .

قُتل النساء والأطفال وهم فى فراشهم أو على الطرق .

أُشعلت النيران فى جميع أرجاء المدن . . شاهد عشرة ملايين أمريكى مباشرة الفوضى العارمة التى عمت البلاد . . رأى المشاهدون مشاهد مؤلمة علمًا بأنها ليست جميع مشاهد الخوف .

تعرض سكان جنوب فيتنام للمعاناة والآلام . . أما لحظة الذروة فى الحملة الشيوعية فكانت هجومًا انتحاريًا على السفارة الأمريكية فى "سايجون" .

قبيل الثالثة فجراً قام تسعة عشر من رجال فيت كونج ضمن مجموعة "كوماندوز" بالهجوم على السفارة .

تمكن الفيتناميون من فتح ثغرة بالجدار الخارجى للسفارة مستخدمين صاروخًا مباشرًا . . دخلوا من تلك الثغرة وهم يطلقون النار فى جميع الاتجاهات . . بعد ست ساعات من القتال سقط جميع المهاجمين بين قتيل وجريح .

ما كان لهذه العملية أن تنجح فى قلب سايجون . . فهى عملية انتحارية بحتة بلا شك .

السفارة الأمريكية تحترق ..

فى صبيحة اليوم التالى صحت أمريكا على صور السفارة فى سايجون تحترق بعد أن فتح صاروخ فتحة فى جدارها . . كانت جثث أربعة من رجال البحرية وعناصر الفيت كونج القتلى ملقاة على أرض الحديقة . . أثر هذا المشهد أكثر من غيره على وجهة نظر الشارع الأمريكى من الحرب الفيتنامية . . طالما أن الشيوعيين يستطيعون مهاجمة السفارة الأمريكية . . فكيف لأمريكا أن تسيطر على جميع أنحاء البلاد ؟

لا تراجع.. ولا استسلام

لكن ويست مورلاند لم يتراجع عن قراره . . وقال :

(الهجوم على السفارة ليس إلا جزءاً من حملة تيت الهجومية . . والهادفة إلى تحطيم معنويات الشعب الأمريكى . . ليؤكدوا أنهم قادرون على القيام بعمل عسكرى يحقق نتائج مدمرة . . ولا شك فى أنها أثرت بالمعنويات لكن دون أن تحطمها . . إذا أخذنا بعين الاعتبار أن سفارتنا التى فى عاصمة بلد . . يُفترض أننا نقوم بحمايته . . لا يمكن أن تضعف أمام هجوم كهذا) . . صُعق جونسون لسماع هذه الأنباء . . سبق أن أكد له الجميع أن النصر حتمى .

سرعان ما وقع انفجار صاعق آخر حين تعرضت مدينة "هوج" القديمة الجميلة للدمار على يد الفيت كونج .

تؤكد بيانات صباح الأحد سقوط صواريخ . . ووقوع هجمات مميتة على المناطق الثانية والثالثة والرابعة . . أما فى المنطقة الأولى فالحياة تتبع مجراها الطبيعى . . لو أنه المجرى الطبيعى فعلاً لكانت الضوضاء تعم المكان هنا .

فى السابع والعشرين من فبراير خرج "كرونكيت" على الهواء ليتحدث عن رأيه الشخصى بما يجرى . . ذلك الرأى الذى أدى إلى عواقب وخيمة ما كان ليتوقعها .

يبدو الآن وأكثر من أى وقت مضى . . أن التجربة الدامية فى فيتنام سوف تنتهى بموقف محرج . . فإما أن ينتهى هذا الصيف بمفاوضات الأخذ والرد . . أو بحملة تصعيد عسكرية

مخيفة . . ولكن من الواضح تمامًا حتى هذه الساعة أن المخرج المنطقى الوحيد هو فى التفاوض . . ولكن ليس كمنتصر . . بل كشعب بذل كل ما لديه من طاقات للدفاع عن الديمقراطية دون تردد .

لم يجب الرئيس مباشرة عن ذلك التقرير . . حتى إنه لم يرد عليه نهائيا . .

قال : إن الصحافة سببت كثيراً من الأذى فى الحرب . . وأنها اعتبرت أن الحرب انتهت . . ولكننى لم أعلن بعد نهاية الحرب .

كان جونسون يخسر الحرب فعلاً . . ودعم أمته أيضًا . . حتى إن مؤيديه تضاءلوا إلى الأربعين فى المائة . . ركزت الشبيبة فى جميع أنحاء العالم جل غضبها على الحقيقة فى فيتنام .

تحول عام ١٩٦٨ إلى عام النزاعات الاجتماعية والسياسية .

البحث عن ربع مليون جندى

فى الأسبوع نفسه من تقرير كرونكيت أرسل ويست مورلاند تقريراً عن الوضع فى جنوب شرق آسيا . . قال فيه إنه يحتاج إلى ربع مليون آخر من الجنود كى يحقق النصر مع نهاية ذلك العقد .

لكن قبل أن يوافق جونسون على المزيد من التورط أراد نصيحة الخبراء . . لجأ إلى "كلارك كليفورد" وهو أحد المحامين فى واشنطن . . وكان من مؤيدى الحرب أيضًا . . وقال :

" هذا يوم بالغ الأهمية بالنسبة إلينا فى البيت الأبيض . . أخيراً حققنا النجاحات وأقنعنا كليفورد بالخروج من المطبخ . . والتوجه إلى الغرفة الشرقية . . وذلك بعد جهود كبيرة وسرية أحيانًا . . وأخيراً تمكنا من أن نجعل منه شخصية مرموقة .

طرح كليفورد مجموعة أسئلة على أهم معاونى جونسون . . هل تكفى مائتا ألف رجل لكسب الحرب؟ فيجيبه البعض : كم من الجنود يمكنهم ذلك . . لم يكونوا متأكدين . . متى سيتم كسب الحرب؟ . . ما كانوا يعرفون . . وأصبح السؤال الذى يفرض نفسه على الجميع : هل أصبح العدو على وشك الرحيل ؟

لم تتمكن القيادة المشتركة للقوات الأمريكية من تبرير طلب ويست مورلاند مزيداً من الوحدات . . أصبح الخيار واضحًا . . توقيع السلام وإخراج القوات الأمريكية من فيتنام .

كنا نقود السيارة بين الناس فيقذفون السيارة الرئاسية بدلو ملىء بالدم . . كان هناك الكثيرون ممن يحرقون بطاقات خدمتهم العسكرية . . وأطفال وزوجات طاقم العاملين والمستشارين فى البيت الأبيض ممن يعارضون الحرب .

كانت مرحلة عصيبة جداً على ذلك الرجل . . الذى بذل جهده عبر كل السبل الدستورية المتوافرة كى يتمكن الناس من الحصول على بيت أو عمل أو عناية صحية لائقة . . وحقوق متساوية فى ظل القانون والتربية والتعليم . . ليس من السهل عليه أن يرى كل هذه البرامج تسحق بسبب آلام آلاف الرجال من العائدين من دون عين أو ساعد أو قدم .

صورة ذلك الطفل الذى يركض فى الشوارع بعد تعرضه لقنابل النابالم أثرت فى العالم كثيرًا .

كنت هناك إلى جانبه . . وقد شاهدت الكثير منها . . إلا أن هذه كانت حالة شخص يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن كان يريد القيام بما هو أصح . . كانت تلك لحظات مؤلمة بالنسبة للرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة .

التأثير على جونسون كان مدمرًا

(لن أطالب ولن أقبل بترشيح حزب لفترة رئاسية أخرى) .

حين أعلن الرئيس جونسون بعد بثنا ببعض الوقت أنه لن يترشح للانتخابات لم يصعقنى الخبر ولم يفاجئنى .

فى نوفمبر كان يواجه شرخًا هائلاً فى البلاد . . تظاهرات الشوارع لم يسبق لها مثيل . . كادت تكونَ حملة مزعجة . . ولم أكن أعتقد أن أى مرشح أو رئيس يمكنه الوقوف فى وجه حملة كهذه لمواجهة إرادة رأى عام كهذا .

أريد لها أن تكون نهاية تجربة جونسون السياسية . . على مدار الأشهر العشرة الباقية من حكمه . . تخلى الرئيس عن مهمته فى إعادة تشكيل أمريكا . . ليركز على مهمة إيجاد حل لمشكلة فيتنام .

مباحثات وقف إطلاق النـار

أمر جونسون فوراً بوقف القصف على فيتنام . . وبدأ بالعمل على محادثات السلام . . جرت المفاوضات فى باريس . . المدينة التى شهدت نزاعات كثيرة طوال عام ١٩٦٨ .

ترقب العالم لمعرفة ما إذا كانت أمريكا تستطيع التفاوض على السلام فى فيتنام .

لم يتمكن أى من الطرفين من إعلان النصر . . لكن مجرد وجود فيتنام الشمالية على طاولة المحادثات بشأن السلام . . تؤكد للعالم من هو المنتصر الحقيقى .

شكل ذلك منعطفًا مهمًا بالنسبة للرأى العام فى أمريكا . . فيما يتعلق بدورها كقوة لحفظ السلام .

حين غادر جونسون مكتبه بدأت مرحلة جديدة . . عرفت بعصر نيكسون . . الذى انسحب من فيتنام بعد أربعة أعوام أخرى من الحرب .

مات "جونسون" عام ١٩٧٣ بعد أن اصطبغ بلون حرب أصر عليها فدمرت تجربته السياسية .

هى حرب ستبقى ذكرى صورها أعمق من الكلمات

●●

ملخص لأحداث.. حرب فيتنام

- فى عام ١٩٥٤ أرسل الرئيس ترومان مجموعة استشارية عسكرية مكونة من ٣٥ رجلاً لمساعدة القتال الفرنسى لإبقاء القوّة الاستعمارية فى فيتنام .
- فى عام ١٩٥٦ . . وبعد هزيمة الفرنسيين فى ديان بيان فو . . مهدت اتفاقيات جنيف (يوليو) لانسحاب الفرنسيين وفيت منه لإحد الجهتين من منطقة التخطيط(DMZ) مع انتظار انتخابات إعادة التوحيد . . وهو ما لم يحدث .
- وبدايةً من عام ١٩٥٤ فصاعدا أرسل كلٌ من الرئيسين أيزنهاور وكينيدى مستشارين مدنيين . . ولاحقا أفراد جيش لتدريب الفيتناميين الجنوبيين .

- فى عام ١٩٦٤ . . شكّل الشيوعيون جبهة تحرير وطنية فى الجنوب .

- وبين عامى ١٩٦٠ و١٩٦٣ . . ارتفع عدد المستشارين العسكريين الأمريكيين فى جنوب فيتنام من ٩٠٠ إلى ١٥٠٠٠

- فى عام ١٩٦٣ . . اغتيل رئيس وزراء جنوب فيتنام نغو دنه ديم بعد انقلاب ١ نوفمبر .

- فى ٢ أغسطس ١٩٦٧ هاجمت المراكب الطوربيدية للفيتناميين الشماليين المراكب المدمرات الأمريكية فى خليج تونكين . . بعد ذلك أمر الرّئيس جونسن بهجمات جويّة انتقامية . صدّق الكونجرس قرار خليج تونكين فى ٧ أغسطس . . والذى خوّل للرئيس اتّخاذ كلّ الإجراءات الضرورية للربح فى فيتنام . . وسمح له بالتوسّع الحربى .

- فى عام ١٩٦٥ بدأت الطائرات الأمريكية المهمات الحربية على جنوب فيتنام . . ومع قرب نهاية السنة كان هناك أكثر من ١٨٤٠٠٠ جندى أمريكى فى المنطقة .

- فى ٣١ يوليو ١٩٦٦ قصفت قاذفات «بى ٥٢ »منطقة التخطيط (DMZ)بواسطة فيتنام الشمالية للدخول إلى الجنوب .

- فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ وافقت جمعية جنوب فيتنام الوطنية على انتخاب نجيين فان ذييو كرئيس .

- فى عام ١٩٦٨ كان للولايات المتّحدة ما يقارب ٥٢٥٠٠٠ جندى فى فيتنام فى هجوم على التيت وفى الفترة من يناير إلى فبراير من العام نفسه هاجم فدائيو فيت كونج مناطق سيجون . . وهيو . . وبعض العواصم الإقليمية . . وفى ١٦ مارس فى مذبحة ماى لاى . . قتل الجنود الأمريكان ٣٠٠ قروىّ فيتناميين . . وفى ٣١ أكتوبر طلب الرّئيس جونسن وقف القصف الأمريكى لفيتنام الشمالية . . وانضمت سيجون وNLF إلى الولايات المتّحدة وفيتنام الشمالية فى محادثات باريس للسلام .

- فى ١٤ مايو ١٩٦٩ . . أعلن الرّئيس نيكسون معاهدة سلام على فيتنام . . وبدأ ذلك بالانسحاب فى يونيو . . وشكّلت فيت كونج حكومة ثورية مؤقّتة . .

- وفى ٢٥ يونيو دعا مجلس الشيوخ الأمريكى إلى التقيد بالالتزامات السلمية .

- فى ٣ سبتمبر توفى "هو تشى منه" رئيس فيتنام الشمالية . . عن عمر ناهز ٧٩ عاماً .

- فى ٣٠ سبتمبر . . انسحب حوالى ٦٠٠٠ جندى أمريكى من تايلاند و١٠٠٠ من جنود البحرية من فيتنام .

- فى ١٥ أكتوبر . . قامت مظاهرات هائلة فى الولايات المتحدة احتجاجاً أو دعماً للسياسات الحربية الأمريكية .

- فى ١ مايو ١٩٧٠ . . غزت القوات الأمريكية كمبوديا لكى تحطّم الملاجئ الفيتنامية الشمالية هناك .

- فى ١ يناير ١٩٧١ . . منع الكونجرس استعمال القوّات الحربية فى لاووس وكمبوديا . . ولكن لم يشمل المنع قوّات السلاح الجوّى . . لكن انسحب العديد من القوّات البريّة الأمريكية من معركة فيتنام . . نشرت النيويورك تايمز أوراق وزارة الدفاع الأمريكية عن توسّع الحرب فى يونيو .

- فى ١ أبريل ١٩٧٢ . . ردّ نيكسون على الاندفاع الفيتنامى الشمالى عبر المنطقة المخططة (DMZ) بتلغيم موانئ فيتنام الشمالية وقصف مكثّف لمنطقتى هانوى وهيفونج .

- فى ديسمبر . . أمر نيكسون بما سمى بـ"قصف عيد الميلاد" للشمال لاستعادة الفيتناميين الشماليين على منضدة المؤتمر .

- فى ١٥ يناير ١٩٧٣ . . طلب الرّئيس توقّف العمليات الهجومية فى فيتنام الشمالية . فى ٢٧ يناير . . وقع ممثلو شمال وجنوب فيتنام . . والولايات المتّحدة . . والـ NLF معاهدات هدنة فى باريس . . أدت لانتهاء أطول حرب فى التاريخ الأمريكى .

- غادرت القوّات الأمريكية أخيرا فى ٢٩ مارس .

- فى ١٩٧٤ . . اتّهم كلا الجانبين بعضهم البعض بالانتهاكات المتكرّرة لاتفاقية وقف إطلاق النار .

- فى ٢١ أبريل ١٩٧٥ . . استقال رئيس وزراء جنوب فيتنام نجيين فان ذييو .

- فى ٣٠ أبريل . . استسلمت الحكومة الفيتنامية الجنوبية إلى فيتنام الشمالية . . وقام السفارة البحرية الأمريكية بالحراسة . . ورحل جميع المدنيين الأمريكيين .

- فى ٦ يونيو . . غادر أكثر من ١٤٠٠٠٠ لاجئ فيتنامى بالطائرة وعبر البحر .

- فى ١٩٧٥/٦/١٧ . . مهّدت انتخابات الجمعية الوطنية الطريق لإعادة توحيد الشمال والجنوب .

■■■

5

أبرز أحداث الحرب الباردة



عندما بدأ سباقُ التسلّح والحربُ الباردةُ بينَ القوّتينِ العظميينِ الجديدتين : (الاتحادِ السوفيتى) و(أمريكا) . . كان ذلك إثر انتهاءِ عصر القوّتينِ السابقتينِ : (انجلترا) و(فرنسا) بفعل إسدال الستار على آخر أحداث الحرب العالمية الثانية . . هذه الحربُ التى دفعت ثمنَها شعوبُ العالمِ النامى . . وهم يتخبّطُون بينَ أقدامِ العملاقينِ المتصارعين . . وقد دفعَ هذا (أمريكا) إلى التدخّلِ فى شئونِ العديدِ من دولِ العالمِ النامى . . لمقاومةِ المدِّ الشيوعىِّ بها . . مثلما تدخّلتْ فى الحربِ بينَ (كوريا الشماليّةِ) و(كوريا الجنوبيّة) . . وكما تدخّلتْ فى (فيتنام) . . وعملتِ المخابراتُ الأمريكيّةُ على إشعالِ الفتنِ والثوراتِ والحروبِ الأهليّةِ فى أماكنَ عديدةٍ من العالم . . خاصّةً فى (أمريكا الجنوبيّة) و(أفريقيا) . . ولا ننسى بالطبع دورَ (أمريكا) الرئيسىَّ فى زرعِ (إسرائيل) فى منطقةِ الشرقِ الأوسط . . والمساندةَ الدائمةَ لها ضدَّ العربِ والمسلمين .

واستعرضنا معاً ـ على مدار الفصول السابقة ـ كيف استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية استخدام أسلحة الحربَ الدعائيّةَ للوقوفِ ضدَّ الشيوعيّة . . لتبدوَ فى نظرِ العالمِ راعيةَ الحريّةِ والديمقراطيّةِ والعدالة . . فهى التى قامتْ بها الحربُ الأهليّةُ بينَ الشمالِ والجنوبِ لتحريرِ عبيدِ الجنوب (وإنْ كانَ الزنوجُ لم يحصلوا على حقوقِهم الكاملةِ حتّى يومِنا هذا!) . . وهى التى أعلنتْ حقوقَ الإنسان . . ومبدأَ حقِّ تقريرِ المصير . . وحقَّ كلِّ شعبٍ فى الحرّيّةِ والاستقلال (ونحنَ نرى مواقفَها من الشعبِ الفلسطينىِّ والأفغانىِّ والعراقىِّ!!) . . وهى التى تمنحُ المساعداتِ الماليةَ والمنحَ والقمحَ لمساعدةِ الشعوبِ الفقيرة وللسيطرةِ على سياستِها والتجسّسِ على بنيتِها الداخليّة .

لكن يبقى لتلك الحقبة أبرز أحداثها التى تجسدت تقريباً فى أهم أحداث تلك الفترة وهو حادث . .

اغتيال كينيدى

ففى الحادى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ فى هذا اليوم أودى بالرئيس "جون كينيدى" غيلة بالرصاص فى مدينة دالاس . . ورغم القبض على القاتل . . إلا أن العالم ما فتئ بعد مرور خمسة وثلاثين عاماً يتساءل عن حقيقة ما حدث . . يقول البعض : إن عملاء الحكومة تآمروا لقتل الرئيس أو تستروا على الحقيقة . . لكن اتضح مؤخراً أن جواسيس من الاتحاد السوفيتى السابق أجروا تحقيقات سرية خاصة . . لمعرفة الجانى الحقيقى . .الذى يصر الجانب السوفيتى ممثلاً فى الـ (K.G.B) أنه شخصٌ آخر غير ذلك القاتل الذى تم القبض عليه وقتها . . وللمخابرات السوفيتية ملفاتها السرية الخاصة باغتيال جون كينيدى . . ولعل ما يزيد على خمسين عاماً تفصلنا عن الحدث تجعلنا نستطيع الحكم بدقة على ما طُرح إعلامياً كوصف واتهام للجريمة ولمن قام بها . . وحقيقة ما حدث . . فماذا حدث؟!

التفسيرات الرسمية

تقول بأن كينيدى قُتل بيد قاتل وحيد . .

لكن . .

هذه الأقاويل مشكوك فيها من قِبَل الباحثين الذين سجلوا وجود تضارب فى تقرير لجنة "وارين" الخاصة بالتحقيق . . وبقيت الحقيقة فى خضم المجهول . . كما بقيت معلومات كثيرة بالخصوص طىّ الكتمان .

يبدو أن الحكومة الأمريكية لم تكن وحدها التى تكتمت وأخفت ملفات بالغة السرية . . السوفييت لهم ضلع بما حدث . . الآن طفت على السطح وثائق سرية مسلطة أضواء جديدة على أهم وأبرز أحداث الحرب الباردة . .

فقد كان هناك شك من وجود قوة خارجية وراء عملية اغتيال جون كينيدى . . الأمر الذى أدى إلى استنفار الولايات المتحدة بطائراتها الحربية المزودة بأسلحة نووية ووضع السوفييت قواتهم العسكرية فى حالة من التأهب القصوى . . واقتربت المواجهة النووية بين الشرق والغرب إلى قدر لم يتصوره أحد على الإطلاق .

نُقلت السلطة التنفيذية إلى نائب الرئيس جونسون قبل إعلان وفاة كينيدى رسمياً . . وحلقت الطائرة الرئاسية الأولى حاملة جثمان جون كينيدى فى طريق عودتها إلى واشنطن وقال نائب الرئيس جونسون فى كلمة له :

(الآن سوف أبذل قصارى جهدى . . وأنشد العون من الله ومنكم . . وأتمنى أن يوفقنا الله .)

فى ذلك اليوم اتضحت فوراً القوة الكامنة وراء عملية الاغتيال وخشى العالم أن يكون "فيديل كاسترو" تصور أن يكون للسوفييت ضلع فى ذلك . . وخشى جونسون أن يكون مستهدفاً وتناهت على أسماعه أنباء عن اختفاء رئيس وزراء السوفييت "خروتشوف" والإخفاق فى تحديد مكان تواجده مما زاد من شكوك جونسون تجاه الروس . . خاصةً أنه لم يكن قد مضى على حالة التوتر التى أعقبت أزمة الصواريخ الكوبية سوى أشهر قليلة . . وسيطر الخوف من احتمال تورط السوفييت فى عملية اغتيال كينيدى .

لماذا الشك فى المخابرات السوفيتية ؟

كان كينيدى قبل اغتياله مباشرةً قد صرح قائلاً :

" إن أمتنا تنظر إلى أى صاروخ نووى ينطلق من الأراضى الكوبية تجاه أى بلد فى العالم الغربى باعتباره عدواناً سوفيتياً على الولايات المتحدة يتطلب رداً فورياً حاسماً ضد الاتحاد السوفيتى " .

وبناء على هذه التصريحات النارية تصاعدت حدة التوتر ثانية بين القوتين العظميين . . وأعلن الاتحاد السوفيتى حالة التأهب بين قواته المسلحة . . ثم حدث ما حدث وأُغتيل كينيدى .

جثة كينيدى ممدة على طاولة التشريح

كاسترو ينفى..

وعلى الفور نفى "فيديل كاسترو" رسمياً علاقته أو علاقة بلاده باغتيال كينيدى . . وبالمقابل اتصل "خروتشوف" بالسفارة الأمريكية نافياً تورط بلاده فى عملية الاغتيال . . وفى

الوقت ذاته ساورت خروتشوف مخاوف من إمكانية توريطه أو احتمال وجود علاقة للاستخبارات السوفيتية باغتيال كينيدى . . لذا أمر جهاز الـ (K.G.B) بالتحقيق بالواقعة . . ظلت النتائج التى توصل إليها حبيسة الأدراج فى سراديب سرية للغاية لأكثر من ثلاثين عاماً .

ولا شك أن الـ (K.G.B)كانت فى أوج الحرب الباردة أكبر منظمة تجسسية فى العالم . . وتلخصت أهدافها فى قمع أى معارضة للنظام وجمع المعلومات فى الداخل والخارج . . وضمت أكثر من ثلاثمائة ألف عميل موزعين فى الاتحاد السوفيتى والعالم . . وكانت فى أوائل الستينيات تتبع " نيكيتا خروتشوف" مباشرة . . يُقال : إن آراء خورتشوف كانت نابعة من آراء الـ (K.G.B) وفى دالاس انهمكت السلطة فى البحث عن القناص الذى قتل الرئيس . . وحامت الشبهات حول شخص يدعى "لى أوزويلد" كان يعمل كموظف مؤقت فى مستودع للكتب المدرسية واعتقل بعد الحادث بساعتين .

وفى الوقت الذى جرى فيه اعتقاله بتلك السرعة . . والتعامل معه باعتباره القاتل الوحيد فإن هناك كثيرين يعتقدون أن "لى هارفى أوزويلد" لا يمكن أن يُقدم على مثل هذا العمل الجرىء والتصرف الصعب .

وهناك اعتقاد كبير بأن "لى هارفى أوزويلد" استُخدم كستار وأنه يستحيل عليه القيام بذلك . .

كاسترو نفى تماماً علاقة بلاده باغتيال كينيدى

وبعد تشكيل لجنة وارين . . وفى أعقاب ظهور تقريرها ـ تعرض التقرير لكثير من الانتقاد من الأشخاص الذين اطلعوا عليه . . ولم يصدق الكثيرون ما جاء فيه .

ويقول الضابط " كارل ديه " الذى كان مسئولاً عن مسرح الجريمة :

تلقيت مكالمة مستعجلة تخبرنى بحدوث إطلاق للنار . . وتطلب منى التوجه فوراً إلى الموقع . . كان هناك حشد من الضباط فى المبنى وعندما وصلت الطابق السادس كان هناك ضابط بالزى الرسمى أخبرنى أنه فى الركن الجنوبى الشرقى من المبنى وهو خلفى هنا .

وجدوا أغلفة فارغة . . وأنهم التقوا أوزويلد فى الدور الثانى أسفل درك الزاوية الشمالية الغربية . . هكذا هبط من الدور السادس الذى نحن فيه الآن .

وفيما بعد فى موقع الجريمة أقيم متحف لتكريس حياة وموت كينيدى . . واتضح من أقوال الشهود الذين استجوبتهم لجنة " وارين " أن أوزويلد كان يعمل مستخدماً يأخذ الطلبات ويحدد مكان الكتب . . وفى الزاوية الشمالية الغربية عُثر على البندقية والمقذوفات التى تطابقها . . طبعاً هذا لا يعنى أنه ضغط الزناد . . لكنها تشير إلى احتمال قيامه بذلك .

الروس وتحقيقاتهم السرية..

فيما كنا منهمكين فى جو محموم منشغلين بأوزويلد وفيمن سيكون الرئيس الجديد كان السوفييت منكبين على إجراء تحقيق سرى فى عملية الاغتيال ليبرهنوا على عدم تورطهم به . . قاموا بتصوير اختبار باليستى وتوصلوا منذ خمس وثلاثين سنة إلى ما اقتضت منا معرفته وقتاً طويلاً من الزمن .

فى اللحظة التى كنا فيها هنا ولم يكن لدينا مشتبه به لم نكن نعرف شيئاً عن "لى هارفى أوزويلد" فيما كنا نعمل هنا كان ضباط القسم الواقع على بعد ميلين يجرون تحقيقًا حول عملية الاغتيال . . لذا بدأت الأمور تترابط . . كان ينتظر فى الطابق السادس لدى مرور الرئيس ثم أطلق الرصاص عليه . . ثم أخفى البندقية وتسلل إلى الدور الثانى .

نُقل أوزويلد إلى سجن مدينة دالاس . . واتهم بقتل الضابط "تيبيت" والرئيس كينيدى .

شرعت السلطات فى جمع الأدلة التى تربط أوزويلد بالجريمة وأعلنتها على الملأ . . وانبرت الصحافة العالمية فى سرد تفاصيل عن علاقة أوزويلد بالحزب الشيوعى وأجرى السوفييت تحقيقاً فى عملية الاغتيال لإبعاد الشبهات عنهم كان الجنرال "أولى كاليجين" عميلاً سرياً متستراً بعمله مراسلاً لراديو موسكو فى أمريكا .

تلقينا تعليمات فورية واستدعينا إلى القيادة كان الكولونيل أونيل مكلفاً بنقل تعليمات عاجلة ذات أولوية مطلقة لنا من موسكو للتنقل فى أرجاء المدينة . . ولاطلاع الجميع سواء على مستوى الدبلوماسيين للأمم المتحدة والضباط الأمريكيين والمواطنين والإعراب لهم عن أسفنا

لمقتل الرئيس والتأكيد على عدم ضلوعنا فى الأمر . . وأنه من تدبير قوات شريرة قد تكون المافيا . . لقد كنا نكنُّ احتراماً شديداً للرئيس الأمريكى .

وهناك لقطات فيلمية جرى تهريبها خارج روسيا . . وهى جزء من التحقيق السرى للـ (K.G.B) الذى أجرى عام ١٩٦٣ واستخدمت لإطلاع القادة السوفييت على وقائع قضية كينيدى التى قد تكشف كل ما فى حوزتهم عن "أوزويلد" . . الـ (K.G.B) التى كانت يوماً ما أكبر قوة تجسسية متغللة فى العالم . . وجدت نفسها مضطرة لتوجيه اهتمامها على الاستحواذ بمواد تتعلق بقضية كينيدى . . وذلك بهدف المحافظة على صورتها فى العالم .

وحتى اليوم مازال هناك علامات استفهام قوية تلوح فى الأفق حول شخصية "لى هارفى أوزويلد"

وعن سبب ذهابه إلى روسيا وعن علاقته بـ "كى جيه بى" .

لم يتمكن السوفييت ولا أحد غيرهم من سماع الحكاية كاملة من الرجل الوحيد القادر على توضيح هذا وما إذا كان "لى هارفى أوزويلد" .

مقتـــل القاتـــل..

وفى صبيحة الرابع والعشرون من نوفمبر عام ١٩٦٣ بعد يومين تماماً من اغتيال كينيدى كان قاتله المزعوم "لى هارفى أوزويلد" يُنقل تحت حراسة مشددة من سجن مقاطعة دالاس . . وفجأة انطلق رجل من بين الحشبود ووجه رصاصة قاتلة إلى بطن "أوزويلد" . . تمكنت الشرطة من السيطرة على القاتل والذى تبين أنه يدعى "جاك روبى" صاحب ناد ليلى . . تم اعتقال روبى ونقل أوزويلد إلى مستشفى فى دالاس . . نفس المستشفى الذى نُقل إليه الرئيس كينيدى منذ يومين . . إن حقيقة شخصية أوزويلد ستتكشف خلال أى نقاش حول موت كينيدى . . وهناك من يعتقدون أن الجواب يكمن فى ملفات الـ (K.G.B) مات أوزويلد على سرير العمليات بعد ساعات من إطلاق النار عليه . . إذن مات الرجل الوحيد فى العالم الذى يمكنه أن يفسر اغتيال الرئيس كينيدى .

والواقع أنه قبل وفاته أنكر قيامه بذلك . . بينما يزعم آخرون أن أوزويلد التزم جانب الصمت عمداً قبل إحالته للمحاكمة . . وبعد دخوله للمحاكمة أعطى الفرصة لإثبات براءته . . لم يعطِ الفرصة للإدلاء بأقواله . . ولم يُسمع منه سوى كلمة : إننى برىء . . أنا برىء .

أياً كانت الأسرار التى أفشاها أوزويلد فقد ذهبت أدراج الرياح بموته .

من هو « جاك روبى »؟

موت أوزويلد دفع بقاتله إلى دائرة الضوء . . لكن من هو "جاك روبى"؟

أردى روبى أوزويلد قتيلاً فى قبو دائرة شرطة دالاس . . مستغلاً علاقته الوثيقة بشرطة دالاس .

كان جاك روبى مواطناً من شيكاغو معروفاً بطباعه الحادة وعلاقاته المريبة مع المافيا التى تمتد من شيكاغو إلى دالاس . . تردد على نطاق واسع أن المسدس الذى استخدمه روبى لقتل أوزويلد اشتراه بواسطة شرطى من دالاس . . ومكنته علاقاته مع الشرطة من الوصول إلى أوزويلد فى الزمان والمكان المناسبين .

صرخ أوزويلد طالباً النجدة فهو فى دائرة البوليس حيث يجب أن يكون آمناً .

هناك آراء متضاربة بخصوص جاك روبى . . البعض يعتقد أنه تصرف بناءً على أوامر من المافيا .

من الصعب جداً على مواطنى الولايات المتحدة الأمريكية التفكير أو القول : إن هناك فترة فى تاريخنا استُخدمت فيها الـ (C.I.A) أو المافيا فى التخطيط للاغتيالات .

ثمة شخص قائل : إن رجلاً كأوزويلد ليس سوى مجرم أراد أن يجعل من نفسه شيئاً .

هناك مفارقتان غريبتان : أولاهما أن أوزويلد يريد دخول التاريخ . . وثانيتهما : أن جاك روبى صاحب الملهى الليلى يريد أن يصبح ذكرى فى التاريخ .

بعد ثلاثين عاماً ما زال العالم يتذكر الرجلين ويتساءل لماذا؟ دُفن أوزويلد بعد يوم من مقتله . . وطلب روبى محاكمة جديدة وتمت الاستجابة لطلبه . . غير أنه أصيب بمرض السرطان وشاء الله تعالى له أن يموت فى السجن قبل أن تبدأ المحاكمة الجديدة .

ما زال الدافع لغزاً غامضاً . . لكنه ليس أكثر غموضاً من حياة "لى هارفى أوزويلد" السؤال الذى يتردد صداه كلما طُرح اغتيال كينيدى للنقاش هو من يكون "لى هارفى أوزويلد" هناك اعتقاد بأن الجواب يمكن إيجاده فى ملفات الـ (K.G.B) ..

عندما نكون بصدد قاتل متورط باغتيال رئيس أو سيناتور فإننا نبدأ بجمع كل ما يطال حياته وعلاقاته وعلى من عرفوه فى مطلع شبابه . . أعتقد أن ملفات الـ (K.G.B) حاسمة جداً للوصول إلى فهم كامل لشخصيته . . فقد انخرط فى الجيش وهو فى السادسة عشرة من عمره ظناً منه أنه سيقلب حياته رأساً على عقب وعوضاً عن ذلك لقب بالسيدة أوزويلد ، قُدم للمحاكمة العسكرية مرتين . .طُرد من الجيش . . ارتحل إلى روسيا لتغيير مجرى حياته .

فى ستبمبر عام ١٩٥٩ استُجيب لطلب تسريحه من الخدمة فى البحرية تحت ذريعة اعتلال صحته . . وبعد شهر وصل إلى روسيا بتأشيرة زيارة . . لم يكن أحد يعلم ما يدور فى خلده وفوجئ الروس بطليه الحصول على الجنسية السوفيتية .

العملاء الذين يأتون من الولايات المتحدة لن يكونوا بمثل هيئته . . كانوا يمثلون نمطاً خاصاً . . أما هو فلم يبدُ عليه شىء من ذلك . . فوجئنا بطلب اللجوء السياسى الذى تقدم به أوزويلد لدى قدومه إلى موسكو . . قوبل قبولاً حسناً . . لقد أظهرت جميع أجهزة التنصت وأجهزة الاستماع التى استُخدمت أنه لم يكن جاسوساً على الإطلاق .

غير أن "فلاديمير سيميشاسنى" مقرر لجنة الـ (K.G.B) آنذاك يقول : إن الروس سرعان ما قرروا عدم أهلية أوزويلد للعمل التجسسى . .خاصة مع الـ (K.G.B)

كان أوزويلد بالنسبة للجانب السوفيتى مجرد مواطن أمريكى . . حتى إنه لم يدرك طلبه حق اللجوء السياسى . . لم يكن صالحاً لشىء لا للجاسوسية ولا الـ (C.I.A) ولا يتمتع بالقدرة لخدمة الـ (K.G.B) لأنه لم يكن أهلاً لذلك النوع من الأعمال .

بوصفه من رجال البحرية السابقين لن يدلى لنا بأى معلومات وثمة احتمال ببقائه على هذا الوضع فى المستقبل . . فعلام يعنينا أن يصبح مواطناً سوفيتياً؟ لا يعنينا بشىء .

أعطى أمراً بالمغادرة فوراً . . بيد أن أوزويلد كان عازماً على البقاء فى البلاد . . فأقدم على شق رسغه اليسرى فى محاولة للانتحار . . نُقل على إثرها إلى المستشفى مما وضع السوفييت فى

مأزق كبير لا يحسدون عليه . . حيث إن موت مواطن أمريكى فى روسيا الشيوعية له مردود خطير .

وفى غضون أقل من أسبوع أصبح "أوزويلد" شوكة فى خاصرة الروس . . وخشية إقدامه على الانتحار ثانية قام السوفييت صاغرين بمنحه صفة الإقامة المؤقتة ، وهذا وضعهم فى موقف حرج .

كان ذلك قراراً سياسياً يهدف إلى تفادى فضيحة كبرى عندما يقال : إن الاتحاد السوفيتى يمنع الناس من الهجرة إليه .

إن ذهابه إلى مدينة ما وزواجه من فتاة روسية لم يؤهله للانخراط فى المجتمع السوفيتى . . فعاد إلى الولايات المتحدة . . نتيجة لعدم انسجامه فى روسيا فكر فى شىء أخر .

فى يونيو عام ١٩٦٢ غادر أوزويلد وزوجته وابنهما روسيا .

●●

المهم أن الرئيس كينيدى قُتل ولم يتوقع أحد أن يكون "لى هارفى أوزويلد" هو القاتل . . إن حياة أوزويلد منذ وصوله إلى الولايات المتحدة حتى لحظة قتله للرئيس يمكن عرضها عرضاً تاريخياً غير أن الدوافع ما زالت لغزاً .

- فى أكتوبر عام ١٩٦٢ انتقل أوزويلد مع عائلته إلى دالاس ووجد لنفسه عملاً . . غير أن أفكاره عن الماركسية نفرت منه جيرانه .

- فى نفس العام انتقل أوزويلد مع عائلته إلى دالاس ووجد عملاً . . وما لبث أن فقد عمله وأصبح زواجه فى مهب الريح . . الدلائل تشير إلى فشله فشلاً ذريعاً .

على درب كاسترو..

لم يعمل شيئاً بصورة صحيحة وقرر الانضمام لمجموعة ثوار "كاسترو" .

رأى أوزويلد فى كاسترو الفرصة لتحقيق ذاته . . فى سبتمبر سافر إلى المكسيك عاقداً العزم على العودة إلى روسيا . .

كان يشعر أنه وهو يعيش فى بلاده إنما يتعرض لعملية إعدام بطيئة . . كان خائفاً من أن شيئاً سيئاً سيحدث له . . كان يشعر أن الجميع يراقبونه . . وأن كل كلمة تخرج منه محسوبة . . كان الانطباع الأول الذى يتولد لدى كل من يخالطه أنه شخص مجنون . . ومحبط . . ويبدو دائماً فى حالة غير طبيعية أبداً . .

وحسب التقارير فإن أوزويلد ذهب إلى السفارة الكوبية حيث لم يحصل على تأشيرة للسفر إلى روسيا لذلك عاد إلى دالاس ورتب عملاً مؤقتاً كموظف مخزن للكتب . . تماماً قبل شهر من سفر كينيدى إلى دالاس .

مصدران لإطلاق النـار..

ونعود لأحداث الجريمة فقد تأكد للجميع أن الطلقات لم يكن مصدرها فقط من خلف التل . . بل من النافذة المقابلة للمدرسة . . أى من مكان ما فى مخزن الكتب وأيضاً من الأمام .

هناك شهود عيان جدد أكدوا للمحللين الروس أن الطلقات جاءت من الأمام ومن المنطقة المرتفعة المقابلة للمدرسة من وراء السياج . . فى أعلى المنطقة فى شمال شرق البلازا . . حيث رأوا دخاناً ورجال الشرطة يتدافعون ودراجات . . أى من مخزن الكتب .

لكن فى جلسات المحاكمة لم يقل أحد : إن الدخان انطلق من أعلى التل قالوا إنهم رأوا دخاناً ينطلق من دراجة نارية لحظة الاغتيال تماماً وظهر فى هذا الفيلم . . الصور الملتقطة لرأس الرئيس تظهر جرحاً فى خلفية الرأس يمتد هذا الجرح فى اتجاه الرقبة . . ويدل على مؤامرة . . هذا الجرح فى جلدة الرأس لا يأتى من اتجاه مباشر بل بالملامسة . . يمكننا القول : من زاوية الرأس الخلفية بحيث يمكن مشاهدته .

إذا كانت الطلقة التى أُطلقت كما يقول الجميع من اتجاهات مختلفة فالأرجح أنها من الأمام . . وإذا كان أوزويلد أو غيره قد أطلق النار من موقعين فهذا يثبت أن هناك مؤامرة على حياة الرئيس .

على كل حال أصيب كينيدى فى الجهة اليسرى من القفص الصدرى ومناطق أخرى ، كما أفاد الدكتور "ماكليلاند" وأطباء آخرون .

الصور الفوتوغرافية والأدلة الحسية التى لا تتفق مع ما رواه آلاف الأطباء والممرضين ممن رأوا الرئيس فى المستشفى الذين أكدوا أن جرحاً عميقاً فى خلف الجمجمة كان ظاهراً للعيان مع هذه الاختلافات فى الروايات . . كما لا يوجد أى دليل أن جثة كينيدى قد تم نقلها سراً من المستشفى .

الدكتور "روس" وهو الطبيب الجراح المختص الذى أوكلت إليه مهمة تحديد سبب الوفاة . . وهو من أعلى الكفاءات فى المنطقة وتبعاً لأقوال الناس لا يمكن له إزالة جزء من جلد الجمجمة لأن الفتحة كبيرة . . لذا فقد طُلب منه أن يبقى بعيداً عن الجثة . . أى أن توضع الجثة فى مكان وأن يقف بعيداً ليبدأ عمله وكأنه شبه معزول . .

والحقيقة أن كينيدى أصيب بخمس طلقات . . فى أعلى الصدر وفى الأسفل وفى خلف المعصم وأمام المعصم وطرف الرقبة . . لذلك فإن اختلاف موقع الرصاصات لا ينسجم مع طلقتين فى الرقبة مع كينيدى حسبما يظهر فى الفيلم .

عادت الشكوك تحوم ثانية حول "أوزويلد" هل هو من اغتال كينيدى حتى الآن مازالت هناك نظريات مختلفة .

والمنطـق..

يقول إنه قد تم التخطيط لذلك بدقة . . وتم التنفيذ بواسطة أكثر من شخص . .

و لدى وقوع الجرائم الخطيرة التى تمس الأمن القومى فى روسيا يعكف الخبراء الشرعيون على حل القضايا فى مختبر الجريمة الوطنى فى موسكو .فأجريت هناك إعادة تمثيل لاغتيال الرئيس . . عكف اثنان من كبار الشخصيات فى مسرح الجريمة الباليستى على فحص أفلام ووثائق وأدلة مصورة تتعلق باغتيال كينيدى "وهما : الليفتنينت كولونيل نيكولاى مارتيننكوف والكولونيل أليكس فوسكوبوف" رئيس الدائرة الباليستية فى الشرطة الروسية ومديرها .

وبمساعدة جهاز خاص بدأوا مهمتهم ليتأكدوا بوضوح أن انفجاراً بيضاوى الشكل انطلق إلى الأمام . . وما كان هذا ليحدث لو صدرت الطلقة من الأمام . . فإذا كان هناك جرح فى مؤخرة الرأس فلا يمكن أن يكون فتحة للخروج . . فتحة الخروج تكون أكبر من فتحة الدخول بفعل

قانون الفيزياء . . لو كانت هناك جروح عديدة لكان الوضع مختلفاً . . لكن لا يوجد سوى جرح واحد مخروطى الشكل . . لذلك لا جدال أن الإصابة جاءت من الخلف أن الرئيس أصيب برصاصتين . . قد يكون هناك رام واحد أو اثنان من الرماة . . . كما أن هناك تهشماً ناتجاً عن أعيرة نارية صادرة من الخلف . . ولو أنها جاءت من الأمام فإنها ستخرج من الزجاج مباشرة .

●●

حركة الرأس المبدئية إلى الأمام كانت متدنية جداً . . فما كان رد الفعل الثانى أكثر قوة من ذلك بكثير . . على ضوء تحليلاتنا لا نستطيع أن نؤكد ن أوزويلد هو الذى أطلق النار . . كان من الممكن أن يكون أى شخص آخر . . أعتقد أن شخصاً واحداً كان فى إمكانه أن يطلق دلك العدد من الطلقات بلا أى صعوبة .

ذكرت زوجة أوزويلد أنها رأته مرات عديدة يصوب بندقيته عبر النافذة ثم يعيد تلقيمها بسرعة فائقة . . استناداً إلى المعطيات التى قدمتها الـ (K.G.B) فإن أوزويلد دُرِّب على السلاح . . وبعد فترة ليست طويلة أصبح بإمكانه أن يطلق عدة رصاصات خلال برهة وجيزة . . يجب ألا ننسى أن الطلقة الأولى كانت مصوبة على الرأس ووفقاً لتاريخ الطلقة فى الرأس فلقد كانت الثالثة أو ربما الرابعة . . ليس هناك إجماع على عدد الطلقات الصادرة . . ولا يمكننا أن نستبعد احتمال عدم العثور على الرصاصات التى أصابت الرئيس والحاكم . . وأن الطلقات التى وُجدت وُضعت عمداً كما لا نستطيع أن نؤكد أن الطلقات خرجت من هذه البندقية بالذات وأن الرصاصات وُجدت بالسيارة نظراً لأنها لم تستخرج من الجثة . . لا يمكننا أن نستبعد وجود مجموعة من الرماة فى المقدمة . . لكن طالما أن الرئيس أُصيب بالرأس وهذا ما يظهر من خلال الجروح فمن الممكن أنهم تأكدوا من الإصابة . . بحيث إنهم لم يعاودوا الإطلاق . . بالطبع الاحتمال وارد أن اثنين أطلقا فى ذات الوقت على الرئيس كينيدى .

الأدلة الجديدة المكتشفة تثبت أن جهاز الـ (K.G.B) أجرى اختباراته فى أوائل الستينيات لتأكيد أرجحية نظرية القاتل الواحد . . هذه اللقطات الفيلمية المهربة من روسيا صُورت خلال

تلك الاختبارات ويؤكد المعلق أن الغرض من الاختبار هو تحديد ما إذا كانت الطلقات الثلاث بالتحديد أُطلقت فى غضون ست ثوانٍ .

وُضعت الأهداف فى نفس المسافة التى كانت عليها سيارة الرئيس خلال عملية الاغتيال رصاصة على بعد خمسين متراً . . والثانية على بعد مائة متر والثالثة على بعد مائة وعشرة أمتار . . وقد تمكن الرامى بعد القيام بسلسلة من التمارين من إصابة هدفين أو ثلاثة أهداف متوالية فى أقل من ست ثوانٍ . . وهذا يثبت إمكانية أن أوزويلد قام بإطلاق ثلاث رصاصات فى الوقت المحدد .

على ضوء نتائج الاختبارات الروسية تقرر إجراء تجارب على قدرات البندقية بأنفسنا . . كانت البندقية المضبوطة فى مسرح الجريمة هى من طراز "مانيلكا كاكونو" وفى حالة قديمة يُرثى لها . . تلك البندقية تستخدم طلقات معدنية مغلفة تنطلق بسرعة ألفى قدم فى الثانية وتعتبر الذخيرة المثالية للقناصين . . غير أن المشكلة الرئيسية فيها رتاجها والحاجة إلى تدويرها بعد كل طلقة فحينما ينسحب الرتاج يعود ديك البندقية إلى الوراء مما يتطلب قوة هائلة . . وفى الوقت ذاته تلفظ ظروفاً فارغة . . كل ذلك من ارتداد قوى وسحب لا يهدر ثوانى ثمينة فحسب لكنه يعرقل تركيز الرامى . . حيث إن البندقية تحتاج إلى تثبيت وتسديد جيدين بعد كل طلقة . . وهذا أيضاً أُخذ فى الحسبان .

عكف مكتب التحقيقات الفيدرالى على إجراء اختبارات مماثلة قام خلالها ثلاثة من الرماة بإعادة تصوير عملية الاغتيال خلال ست ثوانٍ . . وكالسوفييت أطلق خبراء "الإف بى آى" النار على ثلاثة أهداف متحركة على أبعاد متفاوتة تصل إلى مائتين وخمسة وستين قدماً . . واحد من الخبراء فقط تمكن من إطلاق الرصاصات الثلاث فى أقل من ست ثوانٍ . . ولم يتمكن أى منهم من إصابة رأس الهدف أو عنقه .

أوزويلد اعتبر رامياً متقناً وليس خبيراً . . وتطوع "جون رايس" مقدم برامج تليفزيونية يعتبر رامياً عادياً لاختبار بندقية "الكاكانو" وأُعطى وقتاً كافياً للتدريب . وضعت الأهداف الثلاثة على مسافات تقارب سيارة كينيدى . أطلق صبية من ثلاث طلقات فى أوقات منفصلة . .

كانت النتائج مذهلة تمكن فى كل مرة من رمى الطلقات فى أقل من ست ثوانٍ . . والنتيجة فعلاً كانت مذهلة .

أصاب الرأس إصابة دقيقة فى الهدفين الأقرب . . فيما تمكن من إصابة الرأس أو منطقة العنق فى الهدف الأبعد . . ورغم أن تلك الاختبارات لا تطابق الظروف التى وقعت فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ بصورة كلية . . إلا أن (K.G.B) تعتقد أنها تتقارب إلى حد كافٍ بما يؤكد احتمال قيام رامٍ واحد بتنفيذ عملية الإطلاق كما ورد فى تقرير لجنة "وارين" .

تمخضت التجارب أيضاً عن اكتشاف آخر وهو أن إطلاق الأعيرة المتعددة من بندقية "الكاكانو" يتطلب وجود مخزن . . وفى كتابه بحثاً عن لى أوزويلد يشير "روبرت جرودين" إلى مخزن ورد ذكره فى تقرير "وارين" بصورة غامضة نظراً لعدم التطرق إليه فى قائمة الأدلة الأصلية . . لاحظنا أنه بعد إطلاق الرصاصات بقى المخزن الفارغ فى موقعه فى البندقية وأنه لُفظ بعد ضغط الرامى على زر الأمان . . لكن المشط الخالى بقى فى موقعه من البندقية . . حيث لم يرد ذكره فى الأدلة إلا بعد إخضاع البندقية للفحص . . مما يعزز مصداقية ما توصل إليه السوفييت منذ ثلاثين عاماً .

استنباطاً من النتائج التى استخلصتها اختباراتهم فإن جهاز الـ (K.G.B) والسوفييت لا بد أنهم توصلوا إلى استنتاجات معينة كونت لديهم نظريات حول حقيقة ما حدث . . قام الرئيس السوفيتى السابق "ميخائيل جورباتشوف" بإزاحة الستار عما لديه من معلومات تتعلق باغتيال "جون كينيدى" وذلك فى مقابلة نُشرت على نطاق عالمى واسع .

●●

أصعب ٤٤٤ يوماً فى تاريخ أمريكا

عندما أذل الطلبة الإيرانيون حكومة الشيطان الأعظم . . ووضعوا أنفها فى الوحل . .

فى الرابع من نوفمبر من كل عام تحل ذكرى حادثة تاريخية لاتزال آثارها وتبعاتها باقية بالرغم من مرور سنوات على وقوعها . وتبدأ جذور الحادثة وأسبابها فى الفترة التى تلت

الانقلاب الذى دبرته المخابرات الأمريكية (C.I.A)بالتعاون مع البريطانيين واتباع الملكية الإيرانية ضد حكومة الدكتور مصدق الوطنية فى ١٩ أغسطس ١٩٥٣ حيث وجد الشعب الايرانى المسلم نفسه فى مواجهة ديكتاتورية مدعومة من قوة عظمى تدعى التحرر والليبرالية . . وبعد انتصار الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩ كان الإيرانيون يخافون من تكرار تجربة حكومة مصدق إذا ما تأخروا فى مواجهة المؤامرة الأمريكية .

فى ١٩٧٩ كانت تجربة عام ١٩٥٣ المرة لاتزال ماثلة أمام الشعب الايرانى . . لقد اضطر الشاه فى تجربة مصدق إلى الهروب من إيران . . لكنه وبعد فترة وجيزة عاد مدعوما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية . . لقد كلف ذلك الشعب الايرانى خمسة وعشرين عاماً من الديكتاتورية الشاهنشاهية المقيتة .

هذه المرة ومع تسارع أحداث الثورة الاسلامية فى العام ١٩٧٨ وجد الشاه نفسه مضطراً مرة أخرى الى الهروب من البلاد . . فقد كانت الثورة تستهدفه ونظامه مباشرة . . وشعارها إقامة نظام إسلامى بديل يقوض النظام الملكى . . لكنه بقى يحلم بتكرار تجربة ١٩٥٣ وإجهاض الثورة بمساعدة أمريكا ثانية . . ومثلما كان الشاه يحلم بتكرار التجربة السابقة كان الثوار فى ايران قد أتقنوا قراءة تاريخهم ومكامن الخلل فيه وضرورة الأخذ بزمام المبادرة بما يسد الطرق أمام عودة الشاه ثانية بقوة المستعمرين . . فالمؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين .

الطلبة المسلمون الذين كانوا فى مظاهرة أمام جامعة طهران فى الرابع من نوفمبر بمناسبة ذكرى سقوط مجموعة من التلاميذ خلال أحداث الثورة عام ١٩٧٨ شهداء أمام البوابة الرئيسية لجامعة طهران . . كانوا قد فكروا قبل بدء المسيرة فى تسلق الابواب والجدران ودخلوا المبنى فوجدوا الموظفين يتلفون الوثائق والمستندات الموجودة بحوزتهم .

فاحتجز الطلبة الموظفين ولم يكن فى نيتهم البقاء فى المبنى بل كانوا يريدون من كل ذلك إيصال رسالة إلى الولايات المتحدة بالكف عن التدخل فى شئون البلاد الداخلية . . لكن المساندة الجماهيرية لهذا العمل كانت بالمستوى الذى جعل فيه الطلبة يدركون عظمة الخطوة التى قاموا بها فى هذا المجال وما يمثله ذلك من تحدى الشعب للقوى الغاشمة .

تعززت مكانة الطلبة المسلمين أكثر عندما أيد هذا التحرك قائد الثورة الامام الخميني . . وتولى أحد أقرب المقربين منه مسئولية الارتباط بينه وبين الطلبة السائرين على خط الامام فأصبحوا ، أى الطلبة ، أحد المكونات الاسلامية فى حركة الثورة الاسلامية ومن أهم التيارات الفاعلة على الساحة .

لقد جعل هذا التحرك القوى الاسلامية فى المقدمة وأصبح الناشطون السياسيون ، خاصة اليساريين منهم ، يشعرون بأن الاسلاميين سبقوهم فى النضال ضد الإمبريالية التى كانوا يرفعون شعار معاداتها . ولقد زاد من قوة موقف الطلبة ومكانتهم . . الدعم الذى حظوا به من قبل مختلف قطاعات الشعب والتنظيمات على اختلاف انتماءاتها السياسية والفكرية . . وهو ما تبرهن عليه المظاهرات التى كانت تقام أمام مقر السفارة الأمريكية بطهران دعماً للطلبة السائرين على خط الامام ومساندة لهم .

ولعل التأثير الاول الذى تركته حادثة احتلال وكر التجسس الامريكى فى طهران من قبل الطلبة كان على صعيد الداخل . . فالحكومة المؤقتة التى كان يرأسها المهندس مهدى بازرجان (توفى فى ١٩٩٥) والتى كانت ترى أن عهد الثورة ولى وانه قد حان الوقت لاستقالتها . . كان بازرجان يرى ان الشاه قد ولى إلى غير رجعة وانه سيحل مكان النظام الشاهنشاهى نظام ديمقراطى جماهيرى . . لذلك لاحاجة إلى استمرار الهياج الثورى لدى الناس . . بل على الشعب أن يعود إلى حياته العادية ويسمح للحكومة المؤقتة بإقامة الجمعية التأسيسية وإقرار الدستور الجديد الذى سيحدد ملامح دولة القانون التى يريدها الشعب .

فى حين أن جماهير الشعب التى شاركت على مدى شهور ، متمادية فى حوادث الثورة من مظاهرات وتضحيات وتحالفات وتضامنات وما رأته فى ذلك من حب وصدق وإخلاص وإيثار ولمسته جيداً ـ كانت تعارض اى مساعٍ تجعلها تفقد كل ذلك دفعة واحدة وان تعود إلى حياتها اليومية والنسق السابق فى العيش . . كانوا يريدون إقامة مجتمع يشتمل فى خصوصياته على الروح التى عاشتها الجماهير خلال فترة الثورة . . ويرفضون استبدال الوحدة والتضامن الذى حصلوا عليه فى خضم الاحداث بالحياة الراكدة والجامدة . . وعلى هذا الاساس واجهت الجماهير مساعى الحكومة المؤقتة بإجراءات نفسية . . لكنها وجدت فى النهاية أن السبيل

الوحيد فى مواجهة هذا النمط من التفكير هو الاحتجاج ومساندة ما حدث فى ٤ نوفمبر . . والابتهاج لسقوط الحكومة المؤقتة واستقالة المهندس بازرجان .

لذلك وعند العودة الى أهم الاجراءات التى قام بها الطلبة بعد احتلال السفارة الأمريكية نشرت مجموعة كبيرة من الوثائق التى استطاعوا جمعها من السفارة والتى كان العديد منها يتحدث عن تنسيق بين بعض أركان الحكومة المؤقتة والادارة الأمريكية . ولقد جاء نشر هذه الوثائق بمثابة السند الذى طرحه الطلبة المسلمون فى ضرورة إسقاط الحكومة المؤقتة باعتبارها تواطأت مع العدو للانقضاض على حركة الجماهير المسلمة وتناست أن الولايات المتحدة كانت ولاتزال الداعم والحليف الاكبر لنظام الشاه وأنها ـ أى أمريكا ـ تتحمل مسئولية العديد من المآسى والمجازر التى ارتكبت بحق الشعب الايرانى فى الفترة التى أعقبت انقلاب عام ١٩٥٣ .

إن الدعم والمساندة والتأييد الذى حظى به عمل الطلبة السائرون على خط الامام والذى شمل إلى جانب قطاعات وطبقات الشعب . . أعرق وأكبر التنظيمات السياسية على اختلاف مذاهبها وميولها سلب الحكومة المؤقتة التى كانت خاضعة للتيار الدينى الليبرالى وبالتحديد حركة تحرير إيران ـ أى إمكانية للدفاع عن توجهاتها ونهجها فى التعامل مع واقع الثورة الاسلامية . . إلى ذلك وبعد أن قام الطلبة بنشر وثائق وكر التجسس الامريكى وكشف العلاقات التى كانت تربط الحكومة المؤقتة مع السفارة والحكومة الأمريكية ، قاموا بنشر وثائق ومستندات أخرى كشفت الروابط الوثيقة بين جهاز الامن الشاهنشاهى المعروف بالسافاك مع المخابرات المركزية الأمريكية والدوائر الاخرى فى الولايات المتحدة . . وأيضا وثائق أخرى طالت العديد من الأجهزة الجاسوسية والمخابرات العالمية .

والى جانب عملية الاحتجاز التى كانت مستمرة فى السفارة والكشف عن الوثائق ـ سارت العملية السياسية وبناء هيكلية وأجهزة الدولة الاسلامية الفتية على قدم وساق وبشكل طبيعى كما كان قادة الثورة قد وعدوا بذلك . فجرت انتخابات مجلس خبراء كتابة الدستور ومن ثم تمت كتابة الدستور واجرى الاستفتاء عليه من قبل الشعب حيث حصد دستور الجمهورية الاسلامية نسبة أكثر من ٩٨٪ من أصوات المشاركين فى الاستفتاء . وجرت انتخابات الدورة

الاولى من مجلس الشورى (البرلمان) . . إلى جانب الحوادث الاخرى والتى كان أهمها القضاء على العديد من حركات الشغب والتمرد المدعومة من الخارج فى كردستان وخوزستان وتركمن صحرا ومناطق اخرى . . وفشل الهجوم الامريكى فى منطقة طبس شرق إيران ومن ثم العدوان البعثى على الجمهورية الاسلامية فى الثانى والعشرين من سبتمبر ايلول عام ١٩٨٠ .

حصار إيران اقتصادياً..

وأدى احتلال السفارة الأمريكية إلى فرض حصار اقتصادى على الجمهورية الاسلامية من قبل أمريكا والعديد من الدول الغربية وحجز الاموال الايرانية الموجودة فى البنوك الأمريكية التى تصل إلى عشرات المليارات من الدولارات . . لكن كل ذلك لم يؤثر على مسيرة الدولة والثورة بسبب حنكة القيادة والتفاف الشعب الايرانى المسلم حولها .

ومع إصرار الطلبة السائرين على خط الامام وقطاعات واسعة من الجماهير على الاستمرار فى احتجاز الرهائن . . بعد الافراج عن النساء والسود منهم لاسباب إنسانية . . لكن شدة الهجمة الاستنكارية ضد إيران وضرورة إدارة شئون البلاد بشكل أفضل فى ظل أجواء الحصار والحرب ـ جعل قادة البلاد يميلون إلى حل مشكلة الرهائن مع الجانب الامريكى لأنهم كانوا يعتقدون ان ذلك سيؤثر على مجرى الحرب وباعتباره سبيلاً لحل العديد من المشاكل القائمة ولكى يتفرغ النظام والشعب للدفاع عن وحدة ترابه وصد المعتدين من النيل منه خاصة أن العديد من مدن إيران الغربية احتل من قبل جيش صدام حسين وهجر الكثير من أبناء تلك المناطق إلى أماكن أخرى .

العديد من بلدان العالم الاسلامى وغير الاسلامى بدورها دخلت على الخط وكانت تطلب من القيادة الاسلامية التوسط لحل النزاع القائم بين إيران وأمريكا حول الرهائن . . فقبلت بالنهاية الجمهورية الاسلامية وساطت الجمهورية الجزائرية . . وأثر ذلك عقد العديد من الاجتماعات فى الجزائر العاصمة بين الطرفين وبرعاية جزائرية . الامر الذى أسفر عن توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٨٠ وقبل نهاية رئاسة جيمى كارتر . . وكان على الولايات المتحدة الافراج

عن الاموال الايرانية المجمدة وتسليم العديد المشتريات الايرانية المدفوعة الثمن إلى أصحابها مقابل الافراج عن جواسيسها (دبلوماسييها) المحتجزين فى السفارة .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الامام الخمينى ، وقبل القبول بالوساطة الجزائرية ـ أحال ملف الرهائن إلى مجلس الشورى الاسلامى (البرلمان) للبت فيه . . على اعتبار أن الشعب هو سيد الموقف بهذا الشأن وهو مسئول عن الموقف الذى اتخذه تجاه أعدائه مع التأكيد على البرلمان باتخاذ أفضل موقف يراه مناسباً .

وبالرغم من انتهاء تلك العملية التى استمرت ٤٤٤ يوماً والتى أسقطت حكومة كارتر وحرمتها من ولاية ثانية ومع مجىء الجمهوريين الى سدة الرئاسة الأمريكية ـ بقيت الاجواء بين ايران وامريكا ملبدة بالغيوم وازدادت تلك الغيوم دكانة بسبب المواقف العدائية الأمريكية من الثورة والاسلام . للحد الذى لم يستطع اعتزال وزيرة الخارجية الأمريكية فى حكومة بيل كلينتون (الديمقراطية) حتى تشع تلك الغيوم من سماء العلاقات بين طهران وواشنطن . . ولم يغفر لها حتى الرئيس خاتمى الذى عرف بانفتاحه على المجتمع الدولى ذلك . لان المسألة ابعد من ان تكون مجرد خلاف سياسى بين بلدين . . بل هى فى نوع العلاقة التى تريد امريكا فرضها على الدول الاخرى . وبالتأكيد فان الجمهورية الاسلامية الإيرانية ليست من صنف تلك البلدان التى ترضى بالتبعية والتضحية باستقلالها الذى قدمت على مذبحه دماءً طاهرة من ابنائها ومحبيها داخل ايران وخارجها .

وبعد كل تلك السنوات ٢٦ التى قضت على حادثة احتلال وكر التجسس لا تزال تلك الواقعة حاضرة فى أذهان الطرفين الايرانى والامريكى باعتبارها تمثل بداية مرحلة التحول فى المواجهة من الدفاع الى الهجوم بالنسبة لايران وهى لاتزال تشكل عقدة فى العقلية الأمريكية تجاه ايران الاسلامية . ومن هذا المنطلق يرى العديد من المراقبين ان حلحلة الاوضاع بين الطرفين عملية صعبة ومعقدة للغاية خاصة فى ظل الظروف الحالية . . اما الاسباب التى تتردد فى هذا المجال فهى متعددة ومتنوعة . . لكنه يمكن تقسيمها على اساس المنطلقين الامريكى والايرانى .

الامريكان الذين يرون أنفسهم أصبحوا القوة الوحيدة فى العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى . . لن يتمكنوا ومن منطلق الغرور الزائف للمنتصرين ، تقبل ظهور قوة اقل من الناحية المادية من القوة المهزومة فى مواجهتهم وعرقلة المشروع الذى يريدونه للعالم بأسره . . فليس من المعقول ان تتمكن الولايات المتحدة من تركيع خصمها الاتحاد السوفيتى بل تدميره وفرض هيمنتها على العديد من البلدان المتقدمة والنووية فى حين انها تعجز عن افساد احلام حكومة لاتستند فى قوتها بالاساس على المعايير المادية الملموسة بل تواجه اكبر قوة دنيوية بمفاهيم غريبة عن ميزان القوة الامريكى .

ان الولايات المتحدة وفى مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتى يسعى الى التحكم فى خصمها ايضاً لذلك نراها تخلق من نسيج الوهم صراعاً مع الحضارات الاخرى خاصة الاسلامية لتجييش العالم وضمه الى معسكرها فى معركة ترى نفسها فيها المنتصر منذ البداية . . وبالتالى من الصعب عليها ان تجد ضمن المنظومة الاسلامية قوة حقيقية ليست من صنعها تسعى الى مقاومتها بجد وعلى ارض الواقع . ولم يكن اتهام ايران ووصفها باحد اضلاع مثلث محور الشر الاجزءاً من تصوراتها الاولية . . اما من جانب ايران الاسلامية . . فان قيادتها ترى امكانية تركيع اكبر دولة فى العالم من خلال الايمان بالله والاستناد الى الشعب وحسن ادارة الدولة والصراع . وقد وضعت امامها تجارب ليست ببعيدة خاضتها هى والعديد من البلدان الاخرى فى هذا المجال . . فاذا كانت الثورة وهى فتية قد أركعت الولايات المتحدة وحلفاءها فى قضية الرهائن فلماذا لاتستطيع تركيعها بعذ سبع وعشرين عاماً من قيام الثورة . وبعد ان خرجت ايران مرفوعة الرأس من اكثر من تجربة وصدام مع امريكا خلال هذه الفترة .

وان امريكا فى نظر القيادة الاسلامية ما هى إلا نمر من ورق . يكفي ان يتعرض الى عاصفة اخرى على غرار كاترينا والينا و . . . حتى ينتهى ويسقط من عليائه الى الحضيض . . ولو كانت امريكا غائرة فى الوحل العراقى حتى اذنيها فهل يمكن لها تسلق قمم ايران الشاهقة التى يحرسها رجال لا يعرفون معنى للهزيمة فى مواجهة العدوان .

انها المعادلة الجديدة التى لاتزال قائمة منذ ان اسقط الطلبة السائرون على خط الامام صنم القوة العظمى ومرغوا انفه بالتراب . . ولهذا السبب بقيت حادثة احتلال وكرالتجسس (السفارة الأمريكية) حاضرة فى الذاكرة ومازالت لاتشكل جزءاً من التاريخ بالمعنى المعهود للاخير .

فيما عدا واقعتى اغتيال الرئيس الأمريكى " جون كينيدى " . . واقتحام السفارة الأمريكية فى طهران واحتجاز العديد من الأشخاص بها . . اللتين تعرضنا إليهما بإسهاب نستطيع أن نوجز باقى أهم أحداث سنوات الحرب الباردة فيما يلى من نقاط :

- ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥م : صادق الرئيس الأمريكى الأسبق ترومان . . على قرار إنشاء قاعدة جوية للقوات الأمريكية فى الظهران . . لتكون أول تواجد عسكرى أمريكى فى الجزيرة .

- سنة ١٩٤٦م : استولى الأمريكيون على مائتين وخمسين ألف طن من غاز (التابون) الفتاك فى منطقة (جيورجيان) فى النمسا ، وبدلا من إتلافها تم نقلها سرا إلى الولايات المتحدة .

- عام ١٩٤٩م : الولايات المتحدة تشعل حربا أهلية فى اليونان . . ذهب ضحيتها ١٥٤ ألف شخص ، وأودع حوالى ٤٠ ألف إنسان فى السجون ، و٦ آلاف أعدموا بموجب أحكام عسكرية . . وقد اعترف السفير الأمريكى الأسبق فى اليونان (ماكويغ) . . بأن جميع الأعمال التكيكية والتأديبية الكبيرة التى قامت بها الحكومة العسكرية فى اليونان فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٧ و١٩٤٩م كانت مصدّقة ومهيأة من واشنطن مباشرة .

- ٣ مارس ١٩٤٩م : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تنفذ انقلابا عسكريا فى سوريا بقيادة حسنى الزعيم . . وقد تم التخطيط للانقلاب فى السفارة الأمريكية فى دمشق .

- ١٤ أغسطس ١٩٤٩م : قامت مجموعة من الضباط السوريين بتوجيه من السفارة الأمريكية فى دمشق بمحاصرة بيت حسنى الزعيم وقتله بعد أن تمرد على أوامرهم .

- ٢٦ يونيو ١٩٥٠م : تدخلت الولايات المتحدة عسكريا ضد كوريا الشمالية لصالح كوريا الجنوبية .

- ١٠ مارس ١٩٥٢م : الولايات المتحدة تدعم الجنرال (باتيستا) للقيام بانقلاب ضد الحكم الجمهورى فى كوبا . . وبعد استيلائه على السلطة فرض على البلاد حكما ديكتاتوريا متخلفا ومرتبطا بالولايات المتحدة .

- ٩ أغسطس ١٩٥٣م : تنفذ وكالة المخابرات المركزية انقلابا ضد حكومة (مصدق) الوطنية فى إيران . . قام بالتخطيط والتنفيذ (كيم روزفلت) حفيد (تيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة (١٩٠١ - ١٩٠٩م) .

- ٢٧ يونيو ١٩٥٤م : نفذت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية انقلابا عسكريا فى جواتيمالا بعد أن قامت طائراتها بقصف العاصمة وبعض المناطق بطائرات (ب - ٢٦) .

- ٢٥ يوليو ١٩٥٨م : تم احتلال لبنان عسكريا من قبل الأسطول السادس الأمريكى . . لتأييد حكومة (كميل شمعون) . . على إثر قيام الانقلاب العراقى فى اليوم السابق .

- ١٦ أبريل ١٩٦١م : الولايات المتحدة تحاول غزو كوبا بواسطة بعض المنفيين الكوبيين . . بمساندة الطائرات الأمريكية وبدعم مباشر . . والعملية سميت (معركة خليج الخنازير) وقد فشلت فشلا ذريعا .

- ١ نوفمبر ١٩٦٣م : قتلت المخابرات الأمريكية (نيجو دين ديم) رئيس وزراء فيتنام الجنوبية عميلها السابق .

- عام ١٩٦٤م : قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالأعمال العدوانية المسلحة ضد لاوس بهدف دعم الحكومة الموالية لها . . شارك فى هذا العدوان ٥٠ ألف جندى وضابط من الجيش الأمريكى و١٥٠٠ طائرة ، و ٤٠ سفينة حربية ،واستخدمت أمريكا أيضا السلاح الكيماوى بصورة كبيرة .

- ٣٠ يوليو ١٩٦٤م : قامت المخابرات المركزية الأمريكية بعملية فى خليج (تونكين) الفيتنامى ضمن الخطة (٣٤أ) . . لإيجاد مبرر للتدخل فى فيتنام . . وضمن هذه الخطة شنت الولايات المتحدة ٦٤ غارة جوية على ٤ قواعد بحرية لزوارق الطوربيد الفيتنامية ومستودعات للوقود . . وعلى أثر ذلك أعطى الكونجرس الأمريكى صلاحيات للرئيس الأمريكى (جونسون) باستخدام القوة المسلحة فى جنوب شرق آسيا إذا اقتضت الضرورة ذلك . . وبموجب هذا بدأت الولايات المتحدة حربها الجوية والبحرية والبرية ضد فيتنام .

- ٢٨ أبريل ١٩٦٥م : الولايات المتحدة تتدخل عسكريا فى (الدومينيكان) . . على إثر قيام حركة ثورية فى البلاد .

- ١ مايو ١٩٦٥م : نقلت السفن والطائرات الأمريكية ١٧٠٠ من مشاة الأسطول ، و٢٥٠٠ من الجنود إلى الدومينيكان .

ـ ٤ مايو ١٩٦٥م : أمر جونسون بإرسال ١٤ ألف جندى لاحتلال (سان دو منجو) إلى أجل غير مسمى .

ـ ١٢ أبريل ١٩٦٦م : رفضت الولايات المتحدة الموعد النهائى (أول أبريل ١٩٦٧) الذى حدده الجنرال ديجول ، لسحب القوات الأمريكية ـ وعددها ٢٦ ألف جندى ـ من فرنسا .

ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٦٦م : القوات الأمريكية تقتل ١٢٥ من المدنيين الفيتناميين . . رغم أنها أعلنت وقف القتال لمدة ٤٨ ساعة بمناسبة أعياد الميلاد .

ـ عام ١٩٦٨م : دبرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية انقلابا عسكريا يقوده (سوهارتو) ضد رئيس إندونيسيا (سوكارنو) ـ الذى قاد البلاد نحو التحرير من اليابانيين ومن ثم الهولنديين ـ وقد تبع هذا الانقلاب حفلات إعدام راح ضحيتها مليون شخص .

ـ ٤ أبريل ١٩٦٨م : المخابرات المركزية الأمريكية تقتل الثائر (مارتن لوثر كنج) المناضل من أجل حقوق المظلومين .

ـ عام ١٩٦٩م : وفق برنامج فينيكس (أى التصفية الجسدية) . . قَتل (كولبى) ـ كبير ممثلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى فيتنام شخصيا ـ ١٨٠٠ شخص شهريا فى فيتنام الجنوبية ، وبلغ مجموع ما قتله ٤٠ ألف شخص .

ـ ٢٠ أبريل ١٩٧٠م : هاجم (٣٢) ألف جندى من القوات الأمريكية مدعمة بـ(٥٠٠) طائرة أمريكية و٤٠ سفينة حربية تابعة للأسطول السابع الأمريكى الأراضى الكمبودية .

ـ ٥ سبتمبر ١٩٧٣م : وجه الرئيس الأمريكى (نيكسون) تحذيرا إلى الدول المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط من أن (سياسة الربط بين زيادة أسعار البترول ومحاولتهم استخدام البترول لأغراض سياسية قد تؤدى إلى فقدهم أسواقهم) .

ـ ١١ سبتمبر ١٩٧٣م : المخابرات المركزية الأمريكية تنفذ انقلابا ضد (سلفادور ألليندى) فى تشيلى . . وكانت نتيجة الانقلاب مقتل (سلفادور ألليندى) ، وإعدام ٣٠ ألفا ، واعتقال ١٠٠ ألف .

ـ ٨ سبتمبر ١٩٧٤م : كشف وليام كولب ـ مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ـ الدور الذى لعبته المخابرات الأمريكية للتخلص من الرئيس الليندى ، وذكر أن حكومة نيكسون سمحت بإنفاق أكثر من ٨ ملايين دولار على أوجه نشاط المخابرات الأمريكية فى شيلى فى الفترة من عام ١٩٧٠ إلى ١٩٧٣م . . وذلك لعرقلة أعمال حكومة الليندى .

ـ منتصف عام ١٩٧٥م : الكونجرس الأمريكى يعد خطة لاحتلال آبار النفط فى منطقة الخليج ، وقد تمثلت الخطة على خمس نقاط هى : الاستيلاء على المنشآت النفطية . . حماية هذه المنشآت بضعة أسابيع أو شهور أو سنوات . . ترميم الموجودات والمعدات المتضررة بسرعة . . تشغيل جميع المنشآت النفطية بدون مساعدة المالك .

ـ ٢٣ يونيو ١٩٧٧م : رفضت لجنة الاعتمادات بمجلس الشيوخ الأمريكى وقف إنتاج قنبلة (النيترون) . . وهى قنبلة خطيرة تقتل البشر دون أن تلحق أضرارا بالمنشآت أو المبانى .

ـ ١٤ يوليو ١٩٧٧م : وافق مجلس الشيوخ الأمريكى على إنتاج قنابل النيترون . . التى أكد الرئيس الأمريكى كارتر أن تطوير إنتاجها سيكلف الخزانة الأمريكية ٤٦ مليون دولار من ذلك الحين حتى عام ١٩٨٠م .

ـ ٢٠ أكتوبر ١٩٧٧م : أعلن (جيمى شليزنجر) وزير الطاقة الأمريكى . . أن الولايات المتحدة ربما يتعين عليها اللجوء يوما ما إلى حماية مصادر البترول فى منطقة الشرق الأوسط . . وأنّ على الشعب الأمريكى أن يقدر الحاجة بضمان نوع من الأمن الفعلى لهذه المصادر . . وهى الحاجة التى يمكن وصفها بأنها ضرورة عسكرية .

ـ ٢ أكتوبر ١٩٧٨م : اعترف الرئيس الأمريكى لأول مرة باستخدام الولايات المتحدة الأقمار الصناعية فى التجسس على الاتحاد السوفيتى وبعض الدول الأخرى .

ـ عام ١٩٧٨م : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقتل (٩١١) شخصا فى غايانا من جماعة (معبد الشمس) . . فى مذبحة مروعة ادعت وكالة المخابرات الأمريكية أنها حادث انتحار جماعى .

ـ ٢٠ يناير ١٩٧٩م : طلبت الحكومة الأمريكية من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إعداد دراسة شاملة حول الحركات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم .

ـ ٩ أغسطس ١٩٧٩م : صرح بريجنسكى مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى . . بأن الولايات المتحدة بدأت منذ عامين فى تشكيل قوة التدخل السريع . . بهدف حماية مصالحها ومصالح حلفائها بصورة فعالة فى المناطق التى تنشب فيها الاضطرابات .

ـ فى أكتوبر عام ١٩٧٩م : قتلت المخابرات المركزية الأمريكية (باك جون فى) رئيس جمهورية كوريا الجنوبية .

ـ ١٢ نوفمبر ١٩٧٩م : الولايات المتحدة تُجمد الودائع الإيرانية فى بنوك الولايات المتحدة الأمريكية . . لغرض محاصرة الثورة الإسلامية الإيرانية .

ـ ٥ ديسمبر ١٩٧٩م : أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن حاملة الطائرات الأمريكية (كويتى هوك) ترافقها ٥ سفن حربية للحراسة . . قد وصلت إلى منطقة الخليج . . التى توجد فيها من قبل حاملة الطائرات الأمريكية (ميسواى) . . على رأس قوة طوارئ . . ويوجد على ظهر الحاملتين ١٣٣ طائرة تستطيع الوصول إلى مدخل الخليج .

ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٩م : تتجمع فى بحر عمان أضخم قوة بحرية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية . . وقالت وزارة الدفاع الأمريكية إن سفينة إصلاح تابعة للبحرية الأمريكية انضمت للأسطول الأمريكى فى بحر عمان .

ـ ١٣ ديسمبر ١٩٧٩م : اتخذت الإدارة الأمريكية قرارا بإبعاد الدبلوماسيين الإيرانيين من الولايات المتحدة .

ـ نهاية مارس ١٩٨٠م : زاد عدد السفن العسكرية الأمريكية عند سواحل إيران على الثلاثين .

ـ ٣٠ مارس ١٩٨٠م : اغتالت المخابرات المركزية الأمريكية (المونسينور روميرو) رئيس أساقفة السلفادور . . بينما كان يرعى قداسا كنسيا .

ـ ٢٥ أبريل ١٩٨٠م : قامت مجموعة (دلتا) الأمريكية المكونة من القوات الخاصة . . بعملية اعتداء على الأراضى الإيرانية بحجة تحرير الرهائن الأمريكيين فى السفارة الأمريكية فى طهران . . ولكن حسب الكثير من المعطيات كانت هذه العملية هى إشارة لتنفيذ انقلاب

يقوم به العملاء الذين أرسلوا مسبقا إلى إيران . . بما فى ذلك أنصار الشاه الذين هربوا أثناء الثورة الإسلامية إلى الخارج . . وقد فشلت هذه العملية .

- ٢٨ أبريل ١٩٨٠م : أعلن جودى باول المتحدث باسم البيت الأبيض . . أن الرئيس الأمريكى كارتر يدرس إمكانية القيام بعمليات عسكرية أخرى لإنقاذ الرهائن الخمسين فى المدن الإيرانية .

- فى نوفمبر ١٩٨٠م : نظمت المخابرات المركزية الأمريكية انقلابا بقيادة الكولونيل (اكبر توناتوش) . . وقد نظم الانقلاب ونفذه مجرم الحرب الألمانى (كلاوس) . . الذى احتضنته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية . . وقد ذهب ضحية جرائمه ما يفوق بكثير ضحايا الجرائم التى ارتكبت فى فرنسا أثناء الاحتلال الألمانى .

- يونيو ١٩٨١م : وافقت الحكومة الأمريكية على استراتيجية عسكرية جديدة . . تقضى بضرورة أن تكون القوات الأمريكية على استعداد لشن حربين كبيرتين فى آن واحد . . إحداهما فى أوروبا والثانية فى الشرق الأوسط مثلا .

- أغسطس ١٩٨١م : قامت طائرات الأسطول السادس الأمريكى فى خليج سرت باعتداء على طائرتى حراسة ليبيتين أسقطتهما .

- أغسطس ١٩٨١م : قام عميل المخابرات المركزية الأمريكية الجنرال (ب . اريانى) الرئيس السابق لأركان الجيش الإيرانى فى عهد الشاه . . بسرقة سفينة الحراسة التى بنيت فى فرنسا .

- ٢٦ نوفمبر ١٩٨١م : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تجند المرتزقة . . بالاشتراك مع المخابرات الإفريقية الجنوبية الذين تمولهم أمريكا ، وترسلهم تحت غطاء فريق لعبة الرجبى للقيام بانقلاب عسكرى فى جزر سيشل .

- ديسمبر ١٩٨١م : قامت كتيبة (أتلاكاتل) المتوحشة ، والمرتبطة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بقتل ١٠٠٠ شخص مع عمليات اغتصاب وحرق فى السلفادور .

- ٢٥ فبراير ١٩٨٢م : قررت الإدارة الأمريكية اتخاذ خطوات لمقاطعة البترول الليبى وفرض حظر على بيع المعدات البترولية والإلكترونية لليبيا .

- ٧ يونيو ١٩٨٢م : تتمكن الولايات المتحدة من إيصال دميتها حسين حبرى إلى الحكم . . بعد أن أنفقت أكثر من ١٠ مليارات دولار . . وعلى أثر ذلك تعرض الناس فى تشاد إلى تنكيلات دامية .

- ٨ يوليو ١٩٨٢م : وصلت قطع الأسطول السادس الأمريكية إلى مسافة أقل من ٥٠ كيلومترا من السواحل اللبنانية . . لإسناد القوات الصهيونية التى غزت لبنان يوم ٥ يونيو ١٩٨٢م .

- ١٩٨٢ - ١٩٨٣م : أثناء التدريبات واسعة نطاق لقوات الانتشار السريع الأمريكية (برايت ستار) . . قامت الطائرات الاستراتيجية القاذفة للقنابل ب٥٢ بالقصف (الإرهابى) على مقربة من الحدود الليبية .

- ٢٥ كتوبر ١٩٨٣م : قامت القوات الأمريكية بهجوم على غرينادا إحدى اصغر دول العالم ، فقد انتهكت سيادتها بوحشية حاملةً الدمار والموت للسكان الآمنين . . الذين نهضوا للدفاع عن وطنهم . . واحتلت القوات الأمريكية الجزيرة . . وقد أطلقت الإدارة الأمريكية كذبة تقول إن الطلاب الأمريكيين تعرضوا للخطر . . وذلك لتبرير عدوانها على الجزيرة .

- ٦ أبريل ١٩٨٤م : رفض مجلس الشيوخ الأمريكى مشروع قانون يلزم الحكومة الأمريكية بوقف العمل فى إقامة قواعد حربية ومنشآت عسكرية فى هندوراس . . لاستخدامها ضد الثوار فى السلفادور وضد حكومة نيكاراجوا التى تعترف بها الحكومة الأمريكية .

- ٢٢ مايو ١٩٨٤م : أبلغ الرئيس الأمريكى ريجان (فهد بن عبد العزيز) أن الولايات المتحدة تبحث القيام بعمل عسكرى إذا دعت الضرورة . . لحماية ناقلات البترول فى الخليج ، وأنه سيصبح ضروريا حينئذ إعطاء أمريكا حق العمل فى قواعد (سعودية) .

- يوليو ١٩٨٤م : أعلن البنتاجون أن طائرات أمريكية مقاتلة قامت بمناورات جوية فوق خليج سرت قرب الساحل الليبى . . دون أى اعتراض من القوات الليبية!!

- ١٣ يونيو ١٩٨٥م :أكد تقرير للجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة . . أن الولايات المتحدة ودولا غربية أخرى تساعد جنوب أفريقيا فى برنامجها الخاص بإنتاج أسلحة نووية .

- ١٣ يونيو ١٩٨٥م : وافق مجلس النواب الأمريكى على تقديم مساعدات للمتمردين فى نيكاراجوا تقدر بحوالى ٢٧ مليون دولار .

- ٢٠ يونيو ١٩٨٥م : وافق مجلس النواب الأمريكى على استئناف إنتاج الأسلحة الكيماوية بعد حظر ١٦ عاما .

- ٢٨ يونيو ١٩٨٥م : وافق مجلس النواب الأمريكى على قانون يخول الرئيس ريجان الحق فى التدخل عسكريا ضد نيكاراجوا .

- ١١ أكتوبر ١٩٨٥م : اعترضت طائرة مقاتلة أمريكية طائرة مدنية مصرية تحمل مختطفى السفينة الإيطالية أشيلى لاورو . . وأجبرتها على الهبوط بقاعدة عسكرية بجزيرة صقلية .

- ٧ يناير ١٩٨٦م : فرضت أمريكا مجموعة من العقوبات الاقتصادية ضد ليبيا . . وأنهت العلاقات الاقتصادية معها .

- ٢٤ يناير ١٩٧٦م : أجرى الأسطول السادس الأمريكى مناورات استفزازية جوية وبحرية بالبحر المتوسط قبالة الساحل الليبى .

- ٢١ مارس ١٩٨٦م : أجرت الولايات المتحدة خامس جولة من مناوراتها الاستفزازية العسكرية أمام السواحل الليبية ، وأعلنت عن إغراق سفينة حراسة ليبية وقصف قاعدة صواريخ سام ٥ ليبية قرب مدينة سرت الليبية ودمرت سفينتين أخريين .

- مارس ١٩٨٦م : وافق مجلس الشيوخ الأمريكى على تقديم ١٠٠ مليون دولار مساعدات للمتمردين فى نيكاراجوا .

- ٢٢ أبريل ١٩٨٦م : استخدمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حق (الفيتو) فى مجلس الأمن ضد مشروع قرار لحركة عدم الانحياز يدين الغارة الأمريكية على ليبيا .

- ٢٣ أبريل ١٩٨٦م : هدد ريجان بضرب سوريا وإيران إذا ثبت تورطهما فى (الأعمال الإرهابية) .

- ٦ مايو ١٩٨٦م : أكد متحدث باسم البيت الأبيض احتمال قيام الولايات المتحدة بعملية عسكرية جديدة ضد ليبيا .

- ١٠ يوليو ١٩٨٦م : كشفت وزارة الدفاع الأمريكية اعتزامها إقامة منشآت جديدة لتخزين الأسلحة النووية فى ٢٦ قاعدة جوية فى أوروبا والشرق الأقصى .

- ٢٩ سبتمبر ١٩٨٦م : استخدمت الولايات المتحدة الفيتو فى مجلس الأمن ضد مشروع قرار يطالبها بإنهاء مساعدتها للمتمردين فى نيكاراجوا .

- ١٤ نوفمبر ١٩٨٦م : فرض الرئيس ريجان مجموعة من العقوبات الاقتصادية ضد سوريا بسبب ما وصفه باستيائه من تأييدها (الإرهاب = حماس وحزب الله) .

- ٧ أبريل ١٩٨٧م : أعلن مساعد وزير الدفاع الأمريكى لشئون الأمن الدولى . . أن القوات الأمريكية فى هندوراس ستبقى هناك إلى أجل غير مسمى .

- ٦ يونيو ١٩٨٧م : انضمت حاملة الطائرات الأمريكية (ساراتوجا) وعدة سفن حربية إلى الأسطول الأمريكى فى الخليج .

- يونيو ١٩٨٧ : قررت الولايات المتحدة تعزيز وجودها العسكرى فى الخليج بست سفن حربية أخرى تقودها بارجة ضخمة .

- ١١ مارس ١٩٨٨م : أصدر الرئيس الأمريكى ريجان قرارا بوقف المدفوعات الشهرية الأمريكية لبنما (وهى مقابل استخدام واشنطن قناة بنما) . . إلى جانب عقوبات تجارية أخرى . . بهدف حرمان حكومة بنما من الأموال السائلة .

- ١٥ مارس ١٩٨٨م : أرسلت الولايات المتحدة وحدة عسكرية من قوات البحرية الأمريكية لحماية المؤسسات الأمريكية وأكثر من ٥٠ ألف أمريكى فى بنما .

- ١٧ مارس ١٩٨٨م : أرسلت الولايات المتحدة أربع كتائب عسكرية قوامها ٣٢٠٠ جندى إلى هندوراس . . بعد ساعات من إعلان واشنطن عن تعرض هندوراس لغزو من قبل نيكاراجوا .

- ٢ أبريل ١٩٨٨م : قررت وزارة الدفاع الأمريكية إرسال تعزيزات عسكرية إضافية إلى بنما لتوفير الأمن اللازم للقوات الأمريكية فى منطقة قناة بنما ولحماية الرعايا المدنيين والمصالح الأمريكية .

ـ ١٨ أبريل ١٩٨٨م : دمرت السفن الحربية الأمريكية رصيفين بتروليين عائمين تابعين لإيران فى جنوب الخليج . . وأغرقت للإيرانيين ٣ سفن حربية . . وأصابت فرقاطتين أخريين .

ـ ٢٦ أبريل ١٩٨٨م : مدد الرئيس ريجان الحظر التجارى الذى فرضته على نيكاراجوا لمدة عام رابع .

ـ ٣ يوليو ١٩٨٨ م : أسقطت وحدات الأسطول الأمريكى فى الخليج طائرة ركاب مدنية إيرانية . . ولقى ركابها جميعهم (٢٩٨) مصرعهم .

ـ ١١ يوليو ١٩٨٨م : عارض مشروع البرنامج السياسى للحزب الجمهورى قيام وطن قومى للفلسطينيين .

ـ ١٤ سبتمبر ١٩٨٨م : اتهمت الخارجية الأمريكية ليبيا بإنشاء مصنع لإنتاج الأسلحة الكيماوية وغازات قاتلة للأعصاب وغاز الخردل السام .

ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩م : قامت القوات الأمريكية بغزو بنما بأمر من الرئيس الأمريكى جورج بوش . . لاعتقال الجنرال مانويل نوريجا لمحاكمته فى الولايات المتحدة .

ـ ٧ مارس ١٩٩٠م : اتهمت الولايات المتحدة ليبيا بإنتاج وتصنيع أسلحة كيماوية فى مصنع الرابطة .

ـ عام ١٩٩٠م : الولايات المتحدة توقف المساعدات العسكرية والاقتصادية عن الباكستان للاشتباه فى أن إسلام آباد تطور أسلحة نووية .

ـ ١٧ يناير ـ ٢٨ فبراير ١٩٩١م : دمرت القوات الأمريكية فى العراق أكثر من ٨٤٣٧ دارا سكنية ، و ١٥٧ جسرا وسكة حديد ، و ١٣٠ محطة كهرباء رئيسية وفرعية ، و٢٤٩ دارا لرياض الأطفال ، و١٣٩ دارا للرعاية الاجتماعية ، و١٠٠ مستشفى ومركز صحى ، و ١٧٠٨ مدارس ابتدائية .

ـ عام ١٩٩١م : الطائرات الأمريكية تقصف ملجأ العامرية فى بغداد . . مما أدى إلى قتل العشرات من الأطفال والنساء والشيوخ .

- ١٧ فبراير ١٩٩٣م : كشفت صحيفة (نيويورك تايمز) النقاب عن استخدام الطيران الأمريكى قذائف تحوى اليورانيوم ضد الشعب العراقى . . وقد قتل الكثير من أطفال العراق بسببها . . وكتبت الصحيفة أن الأطفال كانوا أكثر تأثرا بهذه القذائف . . لأن اليورانيوم الموجود فيها يترك آثاره بسرعة فى الخلايا والهياكل العظمية للأطفال . . ويقضى على الأجنة فى أرحام الأمهات أيضا .

- يونيو ١٩٩٣م : قصف صاروخى أمريكى وغارات جوية على العراق .

- ٣ سبتمبر ١٩٩٦م : قامت القوات الأمريكية بقصف صاروخى على بغداد . . وقد استخدمت صواريخ من نوع (كروز) الموجهة .

- فى أغسطس عام ١٩٩٦م : وقع الرئيس الأمريكى (بل كلينتون) القانون الذى صدقه الكونجرس الأمريكى حول العقوبات ضد إيران وليبيا ، والذى عرف بقانون (دماتو) . . ويهدف هذا القانون إلى فرض عقوبات على الشركات النفطية الأجنبية التى تستثمر فى إيران أو ليبيا أكثر من أربعين مليون دولار سنويا .

- عام ١٩٩٦م : الولايات المتحدة تنشئ صندوقا بـ (٢٠) مليون دولار لزعزعة النظام الإسلامى فى إيران .

- ٢٨ سبتمبر ١٩٩٧م : أعلن العراق أن اكثر من ١,٢ مليون شخص توفوا بسبب نقص الإمدادات الطبية منذ أن فرض عليه الحصار .

- ١١ أكتوبر ١٩٩٧م : قال تقرير لبعثة وكالات غذاء دولية بعد زيارة للعراق : "وجدت البعثة دلائل واضحة على انتشار سوء التغذية ونقص عام فى الغذاء وسوء وضع التغذية فى البلاد نتيجة لنقص الإمدادات المستمرة على مدى الأعوام السابقة الأخيرة" .

- ٢ نوفمبر ٢٠٠٠م : تقرير يكشف عن استخدام الولايات المتحدة فى عام ١٩٩١ قذاف حاوية على اليورانيوم المنضب فى قصفها للعراق . . مما أدى إلى تلوث إشعاعى بيئى باليورانيوم فى العراق .

■ ■ ■

الخاتمة

حرب باردة من نوع جديد

الغزو السوفيتى لأفغانستان أنهى ٤٠ عاماً من الحرب الباردة . . وبزوغ شمس بن لادن . . وتنظيم القاعدة . .!

الدور الذى لعبته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى دعم المجاهدين الأفغان فى حربهم ضد الاتحاد السوفيتى بدأ منذ عام ١٩٧٩ واستمر لمدة عشرة أعوام تقريباً . . وانتهت الحرب بقرار الاتحاد السوفيتى الانسحاب . . والتخلى عن حليفهم فى أفغانستان ،نجيب الله حيث خيروه بين الحضور إلى روسيا أو أى مكان آخر يوفرون له فيه الحماية . . أو البقاء فى أفغانستان وهو الخيار الذى أيدته زوجة نجيب الله التى قالت إنها تفضل الموت فى بلدها على النفى إلى أى مكان آخر .

لكن الملاحظة الأساسية التى يمكن استخلاصها من الفصول السابقة تتعلق بأداء جهاز المخابرات الأمريكية الذى يبدو مماثلاً لأداء الكثير من الإدارات الأمريكية الأخرى . . إذ يعتمد بشكل أساسى على الديناميكية والحركة . . بمعنى أن هناك هدفاً استراتيجياً واحداً توضع عدة سياسات لتحقيقه . . مهما تعاقب الأشخاص على إدارة جهاز المخابرات نفسه فى واشنطن أو تعاقب رؤساء الفروع والوحدات المختصة . . بحيث يعطى كل شخص أفضل ما لديه ثم ينصرف تاركاً المجال لغيره .

ومع ذلك فقد واجهت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أزمة حادة بعد ١١ سبتمبر . . على الرغم من كل نجاحاتها وما حققته فى تاريخها . . وبينها دورها فى الحرب الأفغانية ـ الروسية

التى كانت إحدى العوامل الأساسية فى إنهاء الحرب الباردة التى استمرت على مدى أربعين عاماً كاملة . . حيث بدأت تداعيات انهيار الاتحاد السوفيتى . . أو العد التنازلى لهذا الانهيار منذ انسحابها من أفغانستان .

وقد بدأت المخابرات الأمريكية فى ملاحظة تضاعف قوة التيار الإسلامى الممثل من العرب الذين حضروا إلى أفغانستان للجهاد منذ صيف عام ١٩٨٩ . . ووصفها أحد التقارير المرفوعة إلى قيادة الوكالة فى واشنطن من عملاء الوكالة فى أفغانستان ـ بأنها شبكة واسعة تمثل قوة تتنامى بشكل ملحوظ ويمكن اعتبارها مشكلة فى طريقها للتصاعد .

وظهرت مشكلات عديدة منها قيام الجزائريين الإسلاميين فى أفغانستان بقطع الطريق على المواكب المرافقة للمعونات قبل وصولها إلى هدفها وسلبها . كما تعرض المسيحيون التابعون لمؤسسات المساعدات الدولية لتهديدات وتحرشات من قبل العرب والأفغان الموالين لحكمتيار وسياف . كما حدثت عدة مناوشات بين الصحفيين الأجانب الذين كانوا يقومون بتغطية الأحداث وبين أفراد من المنضمين إلى المجاهدين فى أفغانستان .

وقدر عدد العرب الذين تطوعوا للجهاد حتى عام ١٩٨٩ بنحو أربعة آلاف مقاتل أغلبهم خضعوا لقيادة سياف وفى إسلام آباد . . وبعد انسحاب الاتحاد السوفيتى أصبح للوكالة الأمريكية للمخابرات مقران . . وفى كلا المقرين أبدى كل من بردين وعضو آخر من جهاز المخابرات يدعى أندرسون . . عدم ارتياحهما لتنامى وجود ونفوذ العرب فى أفغانستان . . لكن ذلك لم يؤثر على سياسة الولايات المتحدة المقررة بشأن أفغانستان والمنطقة .

ثم ظهر متغير جديد . . فبعد خروج الاتحاد السوفيتى كان السؤال ما الذى سيوحد الأفغان والمجاهدين الآن؟ وطرح السؤال لم يكن من فراغ فقد كانت هناك شواهد عديدة على تشرذم الأفغان . . فقد اختلف حكمتيار ومسعود لتبدأ بينهما مواجهة بلغت حد الحرب الأهلية .

كما توترت الأجواء بين أسامة بن لادن وعبدالله عزام . . الذى حاول التزام الحياد بين طرفى الصراع فقرر تكوين فريق من المجاهدين العرب قوامه ٢٠٠ شخص ليتجولوا فى ربوع أفغانستان فى محاولة لحقن الدماء وإيقاف الحرب التى اندلعت شرارتها بين أتباع مسعود

وأنصار حكمتيار . لكن أحداً لم يكن فى مزاج يناسب الدخول فى مفاوضات من أى نوع آنذاك .

ومن جهته أعلن أسامة بن لادن انحيازه إلى صفوف حكمتيار .

وقد كان هذا الانحياز نتيجة ما أشاعه أتباع حكمتيار من أن مسعود يتلقى معونات من المخابرات الفرنسية وأنه شوهد وهو يسبح مع ممرضات فرنسيات عاريات فى حمام سباحة بأحد المنتجعات فى «بانشير» .

واتضح أن ما أشاعه حكمتيار حول مساعدات المخابرات الفرنسية كان صحيحاً . . أما الإشاعة الثانية فلم يكن لها أى أساس . . لكنها أدت إلى انحياز بن لادن إلى فريق حكمتيار على أى حال .

وفى تلك الأثناء بدأ أنصار حكمتيار وأتباعهم من المجاهدين العرب فى طرح فكرة التكفير على نطاق واسع وتسمية الكثير من المسئولين وتكفيرهم ثم بدأت الفكرة تتوسع إلى خارج نطاق أفغانستان . . ووصف بعض رؤساء دول المنطقة بأنهم كفار .

وعلى الرغم من التوترات بين عزام وبن لادن . . فقد كان عزام معجباً بـ بن لادن . . ولكنه كان يرى أن وجوده فى أفغانستان يحد من قدراته ويجعله يدور فى أفق أفكار ضيقة . وكان قلقاً على مستقبله .

لكن المستقبل كان فى صف بن لادن على ما يبدو . . فقد تعرض عزام للاغتيال بعد إنهاء خطبة الجمعة فى أحد مساجد بيشاور فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٩ من خلال عربة مفخخة فقتل هو واثنان من أبنائه .

أما بن لادن فقد بدأ يتحرك . . وهو يفكر فى خصوم آخرين خارج حدود أفغانستان . . فقد قرر آنذاك أن الجهاد يحتاج إلى أن يبدأ فى مناطق أخرى فى العالم . وكان ذلك طوال عام ١٩٩٠ حتى ١٩٩١ عندما قرر العودة إلى أفغانستان لبحث مشكلة الصراع الذى بدأ يتصاعد بقوة بين كل من أحمد مسعود شاه من جهة وحكمتيار وأنصاره من جهة أخرى .

بينما بدأت المنافسة بين كل من جهاز المخابرات الأمريكية من جهة وجهاز الأمن القومى فى التعامل مع الملف الأفغانى منذ مطلع عام ١٩١٩ .

إلا أن فرعاً آخر من فروع وكالة المخابرات الأمريكية بدأ يهتم بقضية الأفغان العرب وهو فرع السودان . . فقد تم نقل كوفر بلاك من لندن إلى الخرطوم ليدير عمليات (C.I.A) هناك خلال عام ١٩٩٣ .

ولم تكن حكومة الخرطوم آنذاك من الحكومات التى تتعامل معها أجهزة المخابرات الأمريكية على أرضية من الثقة . ولم يكن مقر الوكالة نفسه من المقار التى تعرف بالرفاهية . . بل إن ظروف العمل هناك بشكل عام كانت تتسم بالقسوة . . لكن مثل هذه الظروف هى الظروف التى يفضلها الشباب العاملون بالمخابرات الأمريكية لإثبات ذواتهم . . فهناك الكثير من العمل . . خاصة أن الشوارع والطرقات تعج بأعمال العنف والمشكلات . على عكس الأمر فى أوروبا حيث يقضى رجال المخابرات الأمريكية أغلب وقتهم هناك فى المقاهى والحانات مع موظفين يحاولون الحصول منهم على أى معلومات .

وفى الخرطوم بدأت تقارير المخابرات ترصد تحركات بن لادن . . ودعمه لوصول مجموعة من العرب المجاهدين .

ولكنه لم يتعامل أو يبدو مثل قائد عمليات عسكرية سرية . . وإنما كان يتعامل بشكل طبيعى ويظهر فى الأماكن التى يتحرك فيها خاصة أن جزءاً من نشاطه بدأ كنشاط استثمارى . . حيث اشترى مزرعة فى شمال الخرطوم بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار . . ثم مزرعة ملح أخرى بمبلغ ١٨٠ ألف دولار وأسس امبراطورية اقتصادية قوامها الأساسى مجال المقاولات فى مجمع ضخم وموظفين وسكرتارية . . وكان متوسط الرواتب التى يدفعها لمساعديه ٣٠٠ دولار شهرياً لأعوانه من السودانيين وتصل إلى ١٥٠٠ دولار للمصريين والعراقيين .

كما عقد عدة صفقات ضخمة فى الاستيراد والتصدير احتكر فيها صادرات السودان من القمح والذرة والصمغ وبعض المنتجات الزراعية الأخرى . . وتوسع فى زراعة مئات الأفدنة من الأراضى الزراعية . . وكان دائم الحركة واللقاءات مع رجال الحكومة السودانية . . كما أنه كان يمارس الفروسية بصحبة أبناء الترابى .

لكن فرع وكالة المخابرات الأمريكية فى الخرطوم رصدت الطائرات التى كان يستخدمها لنقل المواد الزراعية التى كانت بمثابة تمويه لنقل أسلحة بين السودان وباكستان . . كما أنه اشترى مجموعة من الجمال التى كانت تقوم بنقل المسدسات بين السودان وصحراء مصر عبر الحدود .

ومع ذلك . . فقد كان وضعه ما زال ملتبساً . . قد تعرض لعملية اغتيال فى السودان من قبل بعض المتشددين الذين رأوا أن ما يفعله فى السودان لا يتناسب مع ما يجب أن يقوم به كإسلامى راديكالى .

لكن الأمور أخذت منحى آخر بعد عام ١٩٩٤ مع تصاعد أعمال العنف فى المغرب ومصر والسودان وباكستان . . وكانت نتائج التحقيقات تشير فى أغلبها إلى التأثر بالجماعات الأصولية فى مصر وأسامة بن لادن . . أو إلى الخبرات التى حصل عليها منفذو هذه العمليات فى معسكرات التدريب بأفغانستان .

فى عام ١٩٩٥ تولى إدارة (C.I.A) جون دوتش الذى كان يعمل نائباً لوزير الدفاع باقتراح من الرئيس الأمريكى آنذاك . . بل كلينتون الذى أقال جيمس وولسى بعد فضيحة تخابر لحساب روسيا لم تتمكن أمريكا من اكتشافها .

ورغم أن دوتش لم يبد اهتماماً بالعمل فى المخابرات . . ولكنه قبل المنصب إزاء إصرار كلينتون . . وعندما بدأ العمل كان يصف نفسه باعتباره رجل التقنيات والستالايات والإشارات .

وكان يعتقد أن تاريخ المخابرات صنعته وسائل المراقبة والتجسس والأقمار الصناعية . . ولم يبد اهتماماً كبيراً بالعملاء الذين يتم زرعهم كعملاء تخابر . . فقد كان يرى أنهم فقدوا الكثير من المواصفات الاحترافية المطلوبة أو نسوها .

وكانت ميزانية الوكالة فى تقلص مستمر . . وفى منتصف عام ١٩٩٥ لم يزد عدد المتدربين الجدد على العمليات على ١٢ شخصاً . . ولم يتجاوز عدد رجال المخابرات المنفذين لعمليات الوكالة فى أرجاء العالم ٨٠٠ فرد . . وهو ما يعادل ربع عددهم خلال سنوات الحرب الأفغانية .

وبسبب تورط أحد عملائهم فى قضية التخابر المزدوج . . فقد رفعت معدلات الاحتياط وأصبح كل شخص يعمل فى (C.I.A) هو محل اختبار وشك .

لكن الاهتمام انصب على مركز مكافحة الإرهاب . . خاصة بعد أعمال التفجير فى أوكلاهوما . . و[illegible] الرئيس بل كلينتون إلى إضافة بعض البنود الخاصة باستراتيجية مركز مكافحة الإرهاب التى بدأت عملها فى عهد ريجان . . وكان من بين ما أضافه كلينتون فقرة تقول بضرورة مواجهة أى هدف بالعنف والتعامل معه دون الرجوع للدولة المضيفة بحيث يخضع للمحاكمة وفقاً للقوانين الأمريكية . . كما دعت إلى قيام (C.I.A) ببرنامج عنيف فى مجالات جمع المعلومات وتحليلها والسيطرة على التخابر المضاد .

وفى عام ١٩٩٦ قام مركز مكافحة الإرهاب بافتتاح مكتب مختص بتعقب أسامة بن لادن . . وهى المرة الأولى التى يقوم بها الجهاز بفتح مكتب مختص بشخص بمفرده .

ورغم أن (C.I.A) كانت حتى ذلك الوقت تعتبر بن لادن رجل أموال يقوم بدعم الحركات الإسلامية مادياً . . لكن متابعته بشكل دقيق حولت هذه الصورة ليصبح الممول الأهم للحركات الإسلامية المتطرفة فى العالم .

كما أن ريتشارد كلارك أكد ذات مرة أنه طالب ببدء تعقب تنظيم القاعدة فى السودان آنذاك . . لكن لم يؤخذ طلبه بجدية . . وكانت الفكرة التى يطمح فيها رجال المخابرات الأمريكية هى فى مراقبة بن لادن بمفرده . . ولكن قبل أن يحكموا أمرهم كان بن لادن قد غادر السودان متوجهاً إلى أفغانستان .

وعندما وصل بن لادن إلى أفغانستان كانت جلال آباد تحت سيطرة ـ إن لم تكن تحت حكم ـ مجموعة من رجال الشورى كما أطلقوا على أنفسهم ينتمون إلى جماعة البشتون الذين كانوا من جماعات المجاهدين ضد السوفييت وأنصارهم فى أفغانستان . . وكانوا يقاومون الدعوات التى اقترحت عليهم الانضمام إلى طالبان . . كما أنهم حافظوا على مسافة بينهم وبين كل من مسعود وحكمتيار . . وكان زعيمهم حاجى قادر أحياناً يوصف بأنه عمدة جلال آباد .

وبلا شك فإن بن لادن كان يعرف بعض أفراد جماعة جلال آباد خلال الثمانينات والتسعينات وأنه كان على اتصال بهم خلال سنوات وجوده فى السودان . . ومن الملاحظ أن بن لادن لم يذهب إلى المناطق التى كانت تحت سيطرة طالبان .

وكان بعض المراقبين والمحللين الأمريكيين قد أكدوا أن بن لادن فى ذلك الوقت قدم بعض المعونات المادية لطالبان خلال فترة وجوده فى السودان . . لكن مستوى علاقاته بهم لم تصل إلى الاتصال المباشر .

وكانت حركة طالبان قد بدأت الدخول فى مرحلة جديدة من القوة والطموح فى السلطة فى التوقيت الذى وصل فيه بن لادن إلى أفغانستان . . ولم يعد دورهم مجرد ذلك الدور الاستشارى الذى لعبوه فى عامى ١٩٩٤ و١٩٩٥ وإنما تطور إلى حركة سياسية عسكرية لها أهداف وطنية .

وأعلنوا على لسان الملا ربانى عن أهدافهم لتطهير البلاد من مجرمى الحرب واعتبروا أن مسعود هو سبب كل الشرور فى أفغانستان .

وفى ربيع عام ١٩٩٦ اصطحب الملا عمر نحو ١٠٠٠ من رجال الدين والأتباع من البشتون إلى قندهار واختار المسجد القريب من ضريح الملك أحمد شاه دورانى ليلقى خطبة بينما بدأ أتباعه بمناداته بلقب أمير المؤمنين وأعلنوا اسم الدولة الجديد باعتباره الإمارات الإسلامية الأفغانية ونادوا بالجهاد ضد مسعود .

لكن الولايات المتحدة لم تكن تبالى كثيراً بسياسات الأفغان فى ذلك الوقت . . وما تم من جهد للمباحثات من قبل روبين رالف كان بدعم من رجال الكونجرس وليس البيت الأبيض . . وكانت روبين رالف هى مديرة مكتب جنوب آسيا التابع للأمن القومى الأمريكى .

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٩٦ هاجمت قوات طالبان جلال آباد . . وانتهت المواجهة بهرب رجال الشورى بمن فيهم حاجى قادر وتركوا بن لادن بمفرده . . وأحكمت طالبان سيطرتها على المنطقة .

وكانت هذه هى الظروف التى وحدت أخيراً بين كل من مسعود وحكمتيار الذى طالب مسعود عدة مرات بأن يحضر قواته ويواجه طالبان معه .

وانطلقت قوات طالبان فى اليوم التالى إلى كابول وقد تعمموا بعمامات سوداء وكحلوا عيونهم بالكحل . . وفى خلال ذلك اليوم كان كل مبنى أو قصر أو قاعدة عسكرية تابعة

للحكومة قد أصبحت تحت سيطرتهم . . وحتى نجيب الله الذى كان يعيش تحت الإقامة الجبرية فى أحد المبانى التابعة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٢, وكان يعيش أيامه يشاهد التليفزيون ويعكف على ترجمة كتاب عن الوجود البريطانى فى أفغانستان . وفى يوم ٢٧ سبتمبر هاجموا بيته ورجموه بالحجارة حتى توفى هو وشقيقه .

وبدأت قيادات طالبان . . وعلى رأسهم الملا عمر . . فى إصدار القرارات التى بدأت بفرض عودة السيدات العاملات إلى بيوتهن وعدم الخروج حتى للدراسة والالتزام بالزى الشرعى . . وخرجت قرارات تحرم على أى سائق تاكسى التوقف لأى سيدة لا ترتدى البرقع . . وغيرها من الأحكام المتشددة . وبدأ بن لادن تحركاته فى نوفمبر من عام ١٩٩٦ وكانت إحدى الصحف العربية قد أجرت معه حواراً صحفياً فى أحد الكهوف بقندهار آنذاك . . وصفت الكهف بأنه مجهز بأحدث أجهزة الكمبيوتر - وقال بن لادن فى ذلك الحوار إن العدو الأساسى الذى تواجهه الجماعات الإسلامية وتنظيم القاعدة بشكل خاص ، هو الولايات المتحدة الأمريكية .

وأوضح للصحيفة أن الرعايا الأمريكيين فى المنطقة العربية مستهدفون . . وأكد أن الخبرة التى اكتسبها هو ورجاله خلال عشر سنوات من الحرب ضد السوفييت ستجعل المهمة فى مواجهة الأمريكيين أسهل كثيراً .

ورغم كل ذلك . . وما تلاه من وقائع امتدت خلال عام ١٩٩٧ . . واستمرت التحركات الأمريكية فى حجمها الطبيعى فيما يتعلق بالمسألة الأفغانية أو بن لادن .

كما أن وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت قد بلغت مرحلة من أسوأ مراحلها . . وكذلك الأمر فى إدارة عملياتها وهى المرحلة التى تسلم فيها جون تينيت إدارتها فى يوليو من عام ١٩٩٧ . . وكانت هناك حالة عامة من الارتباك . . وربما نوع من عدم تقدير إدارة كلينتون لجهاز المخابرات .

وفى ذلك الوقت بدأت الحركات النسوية الأمريكية فى شن حملة على الأوضاع فى أفغانستان خاصة أوضاع المرأة الأفغانية وهو ما أثار اهتمام اثنتين من السيدات اللائى يتمتعن بالقوة فى أمريكا وهما مادلين أولبرايت وهيلارى كلينتون .

وهو ما دعا أولبرايت لزيارة بيشاور ذلك العام وعادت منها بتقرير شديد القوة فى انتقاد طالبان . وبعدها بأسابيع قامت هيلارى كلينتون بإلقاء خطبة تناولت فيها الأوضاع السيئة للمرأة الأفغانية وأعقبتها بمجموعة من الانتقادات اللاذعة للحكومة الأفغانية وكانت هذه هى المرة الأولى التى يوجه فيها أى طرف قريب من دوائر البيت الأبيض نقداً لاذعاً على هذا المستوى الجماهيرى .

وعلى صعيد أخر . . وحتى نهاية هذا العام . .كانت المخابرات الأمريكية بقيادة جون تينيت تعرف جيداً ما يفعله بن لادن فى تلك الأثناء . . وهو ما دعاه لدعم الوحدة الخاصة به التابعة لمركز مكافحة الإرهاب . . لكن الصورة التى كانت وكالة المخابرات مازالت تحتفظ بها لبن لادن هى صورة الشخص المولع بالظهور . . الثرى . . الخطير والممول لأعمال العنف . . لكنه فى النهاية معزول فى أفغانستان .

وكان تينيت يؤمن بأن المخاطر النووية التى تواجهها الولايات المتحدة من خلال الأسلحة الموجهة للمدن الأمريكية أو التى كانت تواجهها خلال الحرب الباردة . . لا يمكن مقارنتها فى النهاية بأى أخطار محتملة من جهة بن لادن .

وبالتالى فإن أياً من قيادات وكالة المخابرات أو البيت الأبيض لم يخطر على بال أحد منهم إعداد خطة لاعتقاله أو قتله . فلم يكن له مثل درجة الخطر التى تفرض هذا الأمر . . لكن مثل هذه الخطة كان على وشك أن تبدأ .

الولايات المتحدة.. والفرص الضائعة

فى كتابه " فرصة ثانية" يوجه زبجنى برجينسكى . . الذى عمل مستشاراً للأمن القومى فى إدارة الرئيس الأسبق جيمى كارتر . . وهو من الشخصيات القليلة من خبراء السياسة الخارجية الأمريكية التى حذرت إدارة بوش صراحة من غزو العراق . . سهام نقده اللاذعة إلى السياسة الخارجية الأمريكية بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة بدايةً من عهد كل من جورج بوش الأب . . وبيل كلينتون . . وجورج بوش الابن . . ويعتقد أن الولايات المتحدة خلال حكم هؤلاء الثلاثة فرطت وأهدرت فرصتها الأولى لقيادة العالم عندما سنحت هذه الفرصة مع انتهاء

الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفيتى . . ورغم ضياع الفرصة الأولى فى ظل أداء ضعيف يفتقر الرؤية الإستراتيجية لكل من الرؤساء الثلاثة . . فإن برجينسكى يرى ن الولايات المتحدة ما تزال لديها فرصة ثانية .

ويحذر " برجينسكى " من أن ازدياد سوء الوضع فى العراق أو توسيع دائرة الحرب فى الشرق الأوسط بمهاجمة إيران ـ ربما يؤديان إلى أن تذكر كتب التاريخ أن عمر الولايات المتحدة كقائدة للعالم كان قصيرا جدا .

الفاشلون الثلاثة

وعلى طريقة تقييم أداء الطلاب بمنحهم علامات دراسية . . قام برجينسكى بتقييم أداء الرؤساء الثلاثة فى مجال السياسة الخارجية ووضع الولايات المتحدة فى موقع قيادة العالم . . حيث منح بوش الأب الدرجة الأعلى وهى B ، بينما حل كلينتون ثانيا بمنحه C ، وأخيرا جورج بوش الابن الذى منحه علامة F ، وهى تعنى الرسوب فى الامتحان . . فكل من الرؤساء الثلاثة منذ انتصار الولايات المتحدة فى الحرب الباردة . . صار أهم لاعب على الساحة الدولية فى أكثر قضايا العالم أهمية . . ومع ذلك لم تكن هناك رؤية إستراتيجية واحدة . . فأصبح كل منهم يلعب طبقاً لطريقته الخاصة بغض النظر عن أصول اللعبة . . ورغم أن جورج بوش الأب كان أول قائد أحادى للعالم . . وكان ذا خبرة ومهارة دبلوماسية عالية . . فلم تكن تحركه رؤية واضحة تدرك وتلائم تاريخية المرحلة والفرصة . . أما الرئيس كلينتون القائد الثانى للعالم والذى يصفه برجينسكى بالأذكى والأكثر استشرافاً للمستقبل . . فقد افتقر أداؤه إلى الثبات والاستمرارية فى استخدام قوة وقدرات الولايات المتحدة فى ترسيخ قيادة العالم . . أما القائد العولمى الثالث وهو جورج بوش الابن . . فيقول عنه برجينسكى إنه يتسم بالشجاعة ورباطة الجأش ولكنه يفتقد فهم ومعرفة تعقيدات السياسة الخارجية . . فضلا على سيطرة الأفكار العقائدية على طريقة تفكيره .

التحولات العالمية التى لم تستطع أمريكا الاستفادة منها

يحدد برجينسكى فى كتابه عشرة تحولات رئيسية شهدها العالم منذ عام ١٩٩٠ خلال انحسار التنافس الدولى . . والتى لم تستطع السياسة الخارجية الأمريكية الاستفادة منها

والتفاعل معها على النحو الأفضل . . بل إن الأداء الضعيف للرؤساء الثلاثة فى التفاعل مع تلك التحولات أوقع الولايات المتحدة فى أزمات أساءت إلى صورتها وقللت من احتمال قيادته للعالم . وتلك التحولات العشرة طبقا لبرجينسكى هى :

١ ـ انحسار نفوذ الاتحاد السوفيتى فى أوربا الشرقية . . ومن ثم سقوطه لتنفرد الولايات المتحدة بقيادة الساحة الدولية .

٢ ـ نصر الولايات المتحدة العسكرى فى حرب الخليج عام ١٩٩١ تم التفريط فيه سياسيا . . كما لم تهتم الولايات المتحدة باستئناف محادثات سلام الشرق الأوسط . كذلك بدأت مشاعر العداء والكراهية ضد الولايات المتحدة فى العالم الإسلامى تتزايد .

٣ ـ اتساع حلف الناتو والاتحاد الأوروبى شرقا بانضمام المزيد من دول أوربا الشرقية ليصبح حلف الأطلنطى أكثر التجمعات الدولية تأثيرا ونفوذا على الساحة العالمية .

٤ ـ دخلت فكرة العولمة حيز التطبيق والمؤسسية من خلال تأسيس منظمة التجارة العالمية WTO وتعاظم الدور الذى يقوم به صندوق النقد الدولى . IMF فضلا عن تنامى الأجندة المناهضة للفساد فى البنك الدولى .

٥ ـ الأزمات المالية الأسيوية التى شهدتها النمور الآسيوية فى التسعينيات أدت إلى نشوء مجتمع اقتصادى جديد فى شرق آسيا أهم ملامحه سيطرة الاقتصاد الصينى أو التنافس الصينى اليابانى على السيطرة عليه . كما أدى انضمام الصين إلى منظمة الجارة العالمية إلى تعاظم دور ونفوذ الصين التجارى والسياسى فى العالم .

٦ ـ حربان فى الشيشان وصراع الناتو فى كوسوفو ومنطقة البلقان وانتخاب فلاديمير بوتين رئيسا لروسيا . . ساهمت هذه العوامل السابقة فى تصاعد الفاشية والقومية الروسية . وبدأت روسيا فى استغلال مواردها من الغاز والنفط لكى تصبح قوة عظمى فى مجال الطاقة .

٧ ـ غض الطرف من قبل الولايات المتحدة وغيرها عن الأنشطة النووية الهندية والباكستانية . . تحدت الدولتان المتنازعتان الرأى العام الدولى وأعلنتا عن كونهما قوتين نوويتين . كما واصلت كل من كوريا الشمالية وإيران سعيهما لامتلاك قدرات نووية فى ظل أداء ضعيف من الولايات المتحدة .

٨ ـ هجمات ١١ سبتمبر صدمت الأمريكيين . . وحولت الولايات المتحدة إلى دولة خوف . وقررت أن تنهج سياسة وقرارات أحادية . . وأعلنت الحرب على الإرهاب .

٩ ـ انقسام مجتمع حلف الأطلنطى إزاء الحرب فى العراق . . وفشل الاتحاد الأوروبى فى تطوير هويته السياسية ونفوذه .

١٠ ـ الانطباع الذى ساد العالم فى مرحلة التسعينيات بالتفوق العسكرى الأمريكى وأوهام واشنطن تفوقها العسكرى واتساع نفوذها قد تحطمت على صخور الفشل فى العراق . ومن ثم اعترفت الولايات المتحدة بحاجتها إلى التعاون مع قوى أخرى فى قضايا الأمن العالمى فى مقدمتهم دول الاتحاد الأوروبى والصين واليابان وروسيا .

وفى ختام هذه التحولات الرئيسية من المؤكد أن الشرق الأوسط أصبح فى الوقت الراهن ـ ولعله سيظل للأبد ـ مقياس نجاح أو فشل قيادة الولايات المتحدة للعالم .

صورة أمريكا قبل عقدين وصورتها الآن

فى محاولته لتوضيح الفرص التى أهدرتها الولايات المتحدة خلال العقدين السابقين . . يقارن برجينسكى بين صورة أمريكا فى العالم فى عام ١٩٨٩ عند سقوط حائط برلين وانهيار الاتحاد السوفيتى . . حيث كانت صورتها مقبولة فى جميع أنحاء العالم بلا منافسة أو كراهية بعد عقود من الحرب الباردة والتنافس مع الاتحاد السوفيتى . ولكن بعد أقل من عقد ونصف من هذا التاريخ . . أصبحت مشاعر العداء للولايات المتحدة هى القاسم المشترك بين معظم شعوب العالم . . كما تراجعت مصداقيتها . . وفقدت سمعة قدراتها العسكرية بعد السقوط فى مستنقع الشرق الأوسط . ذلك فضلا عن خسارتها لحلفاء دوليين لطالما كان ينظر إليهم بوصفهم حلفاء استراتيجيين للولايات المتحدة .

كارثة حرب العراق

يصف برجينسكى فى كتابه حرب العراق بالكارثة الجيوبوليتيكية التى صرفت الانتباه والموارد من مجابهة الإرهاب فى أفغانستان وباكستان . . بل أدت إلى زيادة التهديدات الإرهابية

الموجهة ضد الولايات المتحدة بإثارة مشاعر الاستياء وتوفير تربة خصبة لتجنيد المزيد من الإرهابيين . ويضيف الكاتب أنه لن يكون للولايات المتحدة ما هو أسوء من تبنيها سياسة ينظر إليها العالم على أنها امتداد للحقبة الاستعمارية .

اللوبى الإسرائيلى يشوه السياسة الأمريكية

من الأفكار المهمة فى كتاب برجينسكى دعوته الكونجرس إلى التدقيق فى قوانين اللوبى وجماعات الضغط والمصالح المناصرة لدول أجنبية من أجل التقليل من نفوذها وتأثيرها على صانع القرار الأمريكى . . حيث يذكر برجينسكى أن بعض جماعات الضغط الإثنية فى واشنطن تمسك بأذن العم سام ولا تتركها . . وخص الكاتب اللوبى الإسرائيلى بذلك . . وأضاف أن هذا اللوبى يعقد الموقف أمام صانع القرار . ويعتقد المستشار السابق للأمن القومى أن اللوبى الإسرائيلى يشوه السياسة الخارجية الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط . . ليس بسبب أنهم يدفعون فى اتجاه الحصول على مصالح محدودة . . ولكن لقدرتهم على تعبئة الرأى العام الأمريكى بصورة كبيرة .

مهمة صعبة للرئيس القادم

يعتبر الكاتب أن الموقف المتدهور لوضع الولايات المتحدة فى العالم الآن سوف يحتاج سنوات من العمل الجاد والخلاق لإعادة الاعتبار لشرعية ومصداقية الولايات المتحدة كقائدة للعالم . وذلك يعنى ضرورة أن يتحلى الرئيس القادم للولايات المتحدة بمهارات دبلوماسية إستراتيجية وغير تقليدية لكى يصوغ سياسة خارجية تتناسب مع التحولات الكبرى منذ نهاية الحرب الباردة ودخولنا عصر العولمة .

وفى النهاية يبقى السؤال . .

هل قدم انتهاء الحرب الباردة جديداً فى مجال السياسة الاستراتيجية أو فى مجال فن الحرب؟

إقراراً بالواقع . . هناك تناقض كبير فى قراءة أحداث تلك الفترة . . أو فى نتائجها المباشرة وغير المباشرة . . بكل ما بها من تناقضات . . غير أن هناك حقائق لابد من التوقف عندها . . إذ إنها قد تلقى ظلالاً على احتمالات وشكل العالم مستقبلياً . . ومن ذلك :

أولاً : جاءت الحرب السوفيتية على أفغانستان لتشكل حلقة فى مسلسل الحروب الأمريكية (غير المباشرة) التى تعاقبت خلال سنوات الحرب الباردة . . فأكّدت حقيقة أنه من الصعب توقع شكل وأسلوب وطريقة خوض حروب المستقبل . . فلكل حرب خصوصيتها . . وحرص مراكز إعداد الحروب الأمريكية على التعامل مع كل حرب بحسب خصوصيتها سواء فى مجال العمل السياسى والإعلامى . . أو فى مجال مخططات الحرب . . أو فى تنفيذ أعمالها القتالية .

ثانياً : لقد أدى استمرار المقاومة للاحتلال فى أفغانستان كما فى الشيشان وفى العراق ـ فيما بعد ـ إلى ظهور تعاطف بين الدول الكبرى التى وصلت إلى ما يشبه الاتفاق على أن (المقاومة هى شكل من أشكال الإرهاب) . . وأن المجتمع الدولى ملزم بدعم عمليات مكافحة الإرهاب عبر تنظيم شبكات الاستخبارات ودمجها فى منظومة عالمية . . وعبر توحيد الإعلام فى التعامل مع ما هو موصوف بالإرهاب . . وكذلك عبر وضع المخططات المحكمة لعزل المقاومات وحرمانها من كل دعم معنوى أو إنسانى أيضاً . . ولهذا فإن ما يظهر من اقتراحات حالياً أو فى المستقبل القريب لإعادة تنظيم الأمن العالمى والشرعية الدولية ـ سيتركز على إعطاء الشرعية لحروب المستقبل . . وبالتالى فقد يكون من غير المتوقع أن تصطدم حروب المستقبل بجبهات معارضة الحروب .

ثالثاً : لم يعد من الضرورى إعادة تجربة العراق من أجل تشكيل النظام العالمى الجديد . . فقد حققت هذه الحرب أهدافها سواء من أجل إرغام الدول الكبرى التى شكّلت (الجبهة المعارضة للحرب) أو سواها على قبول الهيمنة الأمريكية والتسليم بقيادتها دونما مقاومة . . وأما بالنسبة للدول الصغرى . . فقد تحقق الهدف أيضاً . . ولم يكن عزل رئيس ليبيريا بكلمة من الرئيس (جورج بوش) إلاّ نموذجاً من نماذج التوجه الأمريكى الجديد لفرض (العولمة) . . ولا يعنى ذلك هنا حتمية إعادة هذا النموذج فهناك خيارات كثيرة يمكن اللجوء إليها فى نطاق

(التعاون أو التفاهم الدولى الجديد) . ولعل (الانقلابات العسكرية) أو (العصيانات المنظمة) هى من بعض النماذج المتوقعة لإعادة تنظيم إدارات الأنظمة فى البلاد الصغرى .

رابعاً :لقد أدى تصاعد المقاومة واستمرارها فى أفغانستان والعراق علاوة على فلسطين إلى استنزاف الهيبة الأمريكية . . علاوة على الاستنزاف المادى الكبير . . ولقد جاءت الدول الكبرى لقطف ثمار الحروب الأمريكية بدون جهد ولا عناء . . وتحت المظلة الأمريكية . ولا ريب أن صانعى القرارات الأمريكية سيجدون أن طعم انتصاراتهم العسكرية لم يحقق لهم ما كان متوقعاً من نجاحات سياسية واقتصادية وسيشكل ذلك عاملاً بالتأكيد فى إعادة تقويم السياسة العسكرية الأمريكية التى قد تجد أن الخيار العسكرى لن يكون أبداً الخيار الأفضل . . وبصورة خاصة بالنسبة للعرب والمسلمين . وقد تكون هذه هى أفضل ورقة يمكن للقيادات العربية والإسلامية الإفادة منها لحل ما قد يظهر من تناقضات فى العلاقات الدولية .

خامساً : من غير المتوقع أن تكون التناقضات فى المصالح والتى ظهرت بكل من جبهتى الحرب والمضادة للحرب . . قد انتهت بالمصالحة وبتبادل (عبارات النفاق السياسى) . . إذ إن حصول الشركات الأمريكية (المنسوبة إلى وزير الدفاع الأمريكى السابق دونالد رامسفيلد) على عقود مغرية لإعادة بناء العراق . . وكذلك أسلوب التعامل الأمريكى (والموصوف أوروبياً بالمتغطرس والمتعجرف) الذى يستثمر ضد السياسات الأمريكية بصورة عامة . . وسوى ذلك من أسباب الاختلاف . . سيبقى فى حالة كمون أحياناً . . وفى حالة ظهور فى أحيان أخرى . ولكن وبعد تجربة العراق لابد للدول المستهدفة أو المرشحة للعداء (مثل النموذج الإيرانى) من أن تلتزم جانب الحذر تجاه ما قد يظهر من صراعات سياسية بين القوى الكبرى . . فتجربة حربى العراق (١٩٩١م و٢٠٠٣م) ستبقى من النماذج الواضحة للتحذير من ظواهر التناقضات التى قد تبرز فى علاقات الدول الكبرى . . حيث تبقى احتمالات تسوية الخلافات بين الدول الكبرى أقوى بكثير احتمالات إفادة الدول الصغرى من تلك الخلافات لدعم قضاياها مهما بلغت تلك القضايا من العدالة .

سادساً : برهنت الإدارة الأمريكية عبر الحرب على العراق أنها لا تمتلك مفاتيح التفوق العسكرى فحسب . . ولكنها تمتلك أيضاً إرادة استخدام تفوقها العسكرى . . مع المحافظة على

هذا التفوق . . وقد برهن الشيشان والأفغان والفلسطينيون وأخيراً العراقيون أنهم لا يمتلكون شيئاً من مفاتيح التفوق العسكرى غير عدالة قضاياهم ولكنهم يمتلكون أيضاً إرادة استخدام ما هو متوافر لهم من قدرات عسكرية متواضعة . ولا ريب أن ذلك سيشكل عاملاً حاسماً فى السياسة العسكرية الأمريكية عند التخطيط لحروب المستقبل . . سواء عبر إقامة تحالفات محلية أو عبر الاستعانة بأحلاف خارجية (لا سيما بعد توسيع حلف شمال الأطلسى وتطوير دوره العالمى) . وقد يشكّل ذلك قيوداً إضافية تدفع أصحاب القرارات من الأمريكيين العسكريين والمدنيين لاختيار بدائل تحقق لهم أهدافهم مثل : الضغوط وقد يصبح خيار العمل العسكرى هو الخيار الأسوأ فى سيناريوهات المستقبل .

وتبقى هناك نقاط كثيرة لعل من أهمها نقطة العودة إلى سباق التسلح العالمى . وإذا كانت الدول الكبرى والصناعية قد برهنت على غياب إرادة استخدام ما هو متوافر من القدرة العسكرية لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية . . فإن سباق التسلح قد يؤدى إلى تغيير كل المعادلات السياسة والعسكرية عبر تطورات حروب المستقبل .

أما عن الوجود العسكرى الأمريكى فى الشرق الأوسط على سبيل المثال . . فحدث ولا حرج . . فإن الحقائق الجديدة ـ خاصةً فى دول الخليج ـ تؤكد أن أمريكا باتت للأسف بالفعل تسوق دول المنطقة من أعناقهم كالنعاج . .وإذا حدث وبدأت حروبها المرتقبة ـ نحن الآن فى نهايات عام ٢٠٠٨ ـ مع إيران وسوريا وقوى المقاومة العربية فالجميع سيساقون كما قلنا إلى ساحات معارك لاناقة لهم فيها . . ولا جمل . . فالحقائق تؤكد أن حجم القوات الأمريكية فى العراق ارتفع فى أكتوبر ٢٠٠٦ إلى ١٧٠ ألف ضابط وجندى . . وأكد البنتاجون الاحتفاظ بهذا الحجم حتى نهاية ربيع ٢٠٠٧ . . لكن امتدت المدة . . وها نحن الآن وبعد عام ونصف العام من ذلك الموعد والقوات الأمريكية بحسب تعدادها الرسمى المعلن كما هى . . إن لم تكن فى ازدياد . . وتتعدد التعاهدات العسكرية الأمريكية مع دول مجلس التعاون الخليجى الست . . ومع الكويت التى أصبحت حليفا رسميا للولايات المتحدة منذ أبريل ٢٠٠٤ . . وينشط الأمريكيون فى تدريب القوات المسلحة السعودية . . ويحتفظون بأطقم قيادة وسيطرة وصيانة

وتدريب فى قواعد : الخرج . . والخبر . . والظهران . . وخميس مشيط . . وامتدت علاقات التحالف العسكرى إلى البحرين وفيها مركز قيادة الأسطول الخامس الأمريكى . . وإلى عمان التى أتاحت استخدام قواعد : مسقط الجوية . . والملادة . . وسيب . . وثومريت . . ومصيرة . . وذلك أثناء قيامها بغزو أفغانستان فى خريف ٢٠٠١ . أما قطر فقد أصبحت منذ مارس ٢٠٠٢ حليفا لواشنطن من خارج الناتو . . وطورت قاعدة خور العديد كقاعدة جوية وبرية رئيسية للقوات الأمريكية فى الخليج إلى جانب قاعدة السيلية التى يتمركز بها لواء مدرع أمريكى فى الدوحة . . ومركز قيادة العمليات الجوية للقيادة المركزية . . وفى الإمارات . . منذ ٢٣ يوليو ١٩٩٤ تسهيلات بحرية فى الفجيرة وجبل على والسعديات . . وجوية فى قاعدة الظفرة فى أبوظبى وفى مطار الفجيرة . . كما سمحت بإمكانية تمركز لواء مدرع أمريكى فى سويحان .

وبوجه عام . . يوجد حاليا ٦٣ موقعاً عسكرياً للقواعد والتسهيلات العسكرية الأمريكية فى الخليج وفى ١١ دولة أخرى فى الشرق الأوسط الكبير منها السودان واليمن وكينيا ومصر . . وبعضها يستند إلى بنود عامة فى مذكرات التفاهم وبروتوكولات التعاون العسكرى . تلك هى الحقائق الجديدة المُرة .

نبوءة نهاية الحرب الباردة

وقبل أن ننهى جولتنا بين صفحات تاريخ الحرب الباردة نتوقف عند خزعبلات أحاطت بتلك الحرب . . تتحدث عن روابط وهمية بين انتهائها . . ونهاية العالم . . لعل أطرفها ما قيل من أن نهاية الحرب الباردة بين الشرق والغرب وتقارب أمريكا وروسيا ثم انفصالهما سوف يعقبه أن يصبح القائدان الكبيران صديقين فى يوم من الأيام . . وسوف تبدو قوتهما العظيمة متنامية . . وستكون الأرض الجديدة (أمريكا) فى ذروة قوتها . . وسوف يصل العدد إلى رجل الدم " ورجل الدم هنا هو المسيح الكذاب . "ليترك الحكم لاثنين (!؟!) سيتوليانه فترة قصيرة جدا . . وبعد مرور ثلاث سنوات وسبعة أشهر سيتوجهان للحرب . . المنتصر يولد حينئذ على التراب الأمريكى .

●●

هناك أسطورة أخرى تقول : إن النجم المذنب سيتجه إلى الأرض مما سينجم عنه كوارث كثيرة على الأرض . . وسيضطر بابا الفاتكان لتغيير مقره . . وتقول الأسطورة بالنص :

" سوف يشتعل النجم العظيم سبعة أيام . . وستجعل الغيمة الشمس تبدو شمسين . . وسينبح الكلب الدّرواسُ الكبير طوال الليل عندما يغير الحبر العظيم مقره . . وسيحدث ذلك حينما يحدث كسوف للشمس . .سوف يشاهد المسخ فى وضح النهار . . وسيتم تفسيره بشكل مختلف تماما . . لن يهتموا بالنفقة . .ولم يكن أحد قد قام بأعبائه "

كما وجد فى الكتابات السومرية القديمة (وهى أقدم كتابة معروفة لنا وترجع لسنة ٣٤٠٠ ق . م) المكتوبة على الألواح الطينية الأسفينية أنه يوجد نجم مذنب كوكب يدعى نبيروا Nibiru ماردوك فى اللغة البابلية المتأخرة وهو أكبر من الأرض ثلاث مرات وله قوة جاذبية شديدة ويقال إنه يدور حول الأرض فى مدار باتجاه حركة عقارب الساعة ـ كل ٣٦٠٠ سنة . . وهو أكبر من النجم المذنب هالى الذى يدور فى مدار حول الأرض كل ٧٦ سنة . . وأنه سيمر بالأرض فى ١١ أغسطس سنة ١٩٩٩م . . وسيتسبب فى حدوث طوفان من المياه مثلما حدث فى أيام نوح .

وبالطبع النبوءة السابقة ثبت كذبها مع الأيام ـ نحن الآن عام ٢٠٠٨ .

●●

وتقول الكاتبة إيلين ليكس Eileen Lkes فى كتابها " المستقبل يمر " أن القطبين المتجمدين سيذوبان وستغمر المياه العالم وسيدور العالم ٩٠ درجة إلى اليمين . .وتقول أيضا "سيأتى الوقت قريبا وقريبا حيث تسبب " مياه المعمودية " (فيضانًا ضخمًا) بسب ذوبان قطبى . . ويتغير محور الأرض وتصطف كواكب النظام الشمسى فى شكل " صليب عظيم " فى يوليو ١٩٩٩م وسيتأسس ملكوت إلهى سنة ٢٠١٥م كحضارة فضائية متقدمة علميا . .ومن ثم يمكن أن نتصل بالكائنات الفضائية الأخرى وستكون هناك حياة أرضية مرة أخرى للناس " .

●●

وفى تفسير يسمونه التفسير الأخير للنبوءة الكتابية قال أتباع جماعة فرع دافيديان أنه ستبدأ خمسة شهور من العقاب الرئيسى عندما يتم الختم السادس يوم ٦ أغسطس ١٩٩٩م !! .

●●

والآن ماذا بإمكاننا أن نقوله سوى أن :

(الحرب الباردة التى يقولون أنها انتهت بسقوط الإتحاد السوفيتى . . لم تنته إلا فقط . . لتبدأ من جديد . .) .

■ ■ ■

أهـم المصـادر

١ ـ كتاب الحرب الباردة الثقافية : صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٩٩ بعنوان "من الذى دفع للزمار؟!" . . ثم صدرت طبعة أمريكية بعنوان "الحرب الثقافية الباردة" عام ٢٠٠٠ . المؤلف : فرانسيس ستونز . . ترجمة : طلعت الشايب ـ الطبعة : الأولى ٢٠٠٢ ـ الناشر : المجلس الأعلى للثقافة . . القاهرة ومؤلفة الكتاب فرانسيس ستونر سوندرز شابة بريطانية من مواليد عام ١٩٦٦ وتعيش فى لندن . . وتعمل باحثة ومخرجة أفلام تسجيلية . . وقد تخرجت في مجال الأدب الإنجليزى بجامعة أكسفورد . . وقد بدأ اهتمامها بالموضوع عام ١٩٩٣ عندما قرأت مقالاً يزعم أن وكالة المخابرات الأمريكية كانت وراء نجاح "مدرسة نيويورك" فى الفن . . وقدمت برنامجا تليفزيونياً فى القناة التليفزيونية فى بريطانيا بعنوان "الأيدى الخفية! الفن والمخابرات المركزية" . . ثم تابعت بحثها فى مادة أرشيفية هائلة وأجرت لقاءات مع مسئولين وعملاء سابقين لوكالة المخابرات المركزية .

٢ ـ كتاب «حروب الشبح» للصحفى الأمريكى ستيف كول .

٣ ـ كتاب : (فرصة ثانية . . ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية) للكاتب : زبجنى برجينسكى . . الناشر : B.sic Books تاريخ النشر : مارس ٢٠٠٧ .

٤ ـ اليهود فى أمريكا . . تاريخهم ـ دورهم فى تأييد الكيان الصهيونى ـ منظماتهم . . حامد بن عبدالله العلى .

٥ ـ كتاب القوة اليهودية تأليف ج .ج . جولدبرج .

٦ ـ كتاب الجذور الذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل تأليف حمدان حمدان .

٧ ـ ثورة الموتى د . عبد الله عثمان .

٨ ـ كتاب " لا سكوت بعد اليوم " مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام فى أمريكا ـ المؤلف : بول فندلى ـ الطبعة الأولى ٢٠٠١ ـ الناشر : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . . بيروت

■■■

محتويات

إذا كانت شعوب العالم قد عانت من ويلات الهيمنة الناشئة عن صراع القوى المتنافرة فيما مضى من أزمان الحروب المتعاقبة. فإن العالم قد بدأ يعيش عصراً جديداً بانتهاء الحرب العالمية الثانية.. وإلقاء القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجازاكى خاصة بعد أن اخترع ما عرف سابقاً بالاتحاد السوفيتى.. وتبعته بريطانيا ثم فرنسا والصين قنبلتها الذرية تباعاً فيما بعد.. وانقسم العالم بعد ذلك إلى معسكرين على المستوى العقائدى.. والاقتصادى.. والعسكرى.. وبدأت مرحلة ما عرف تاريخياً بسنوات الحرب الباردة.. وأصبحت شعوب العالم كله تعيش منذ ذلك الحين على صفيح ساخن.. مما خلق صوراً أخرى من الصراع.. وقلل من فرص الحوار المتكافئ.. خاصة أنه فى هذه الفترة فشلت المنظمات الإقليمية باختلاف انتماءاتها- بما فيها حركة عدم الإنحياز- فى الحد من طغيان السيطرة الثانية من أمريكا بالإتحاد السوفيتى على باقى دول العالم.. كما فشلت فى إيجاد صيغة مناسبة تجنب أعضاءها على الاقل خطر الوقوع فى دوامة السيطرة والتبعية.. فاختلفت بذلك إمكانيات وفرص التلاقى وتبادل وجهات النظر.

كيف سارت الأحداث التاريخية بالعالم أثناء هذه الحقبة غير المسبوقة.. كيف بدأت.. وكيف انتهت وما هى أهم التحولات السياسية.. والاجتماعية والإقتصادية خلالها.. أسئلة كثيرة الإجابة عنها هى محور هذا الكتاب.

